مجلة العلوم العربية والإنسانية
جامعة القصيم، المجلد (١٢)، العدد (١)، ص ص ٣٠١-٣٦٣، (محرم ١٤٤٠هـ/ سبتمبر ٢٠١٨)

مرســوم نانــت في فرنسا بين الدوافع الدينية والضرورات السياسية ١٥٩٨-١٦٨٥م
(دراسة تاريخية)

د. أحمد حامد إبراهيم القضاة
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المشارك بقسم التاريخ
كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية بجامعة القصيم

ملخص البحث. يتناول هذا البحث بالدراسة والتحليل مرسـوم نانـت في فرنسا ١٥٩٨-١٦٨٥م، من حيث دوافع إصداره، وأهم ما اشتمل عليه من بنود عامة، وسرية، ومذكرات ملكية، وموقف الكاثوليك، والهيجونوت، والبرلمان الفرنسي منه، وأهمية المرسوم. كما تحدث أيضا عن تعديل المرسوم عام ١٦٢٩م، بإصدار مرسوم اليس من حيث دوافع التعديل، وأهم ما اشتمل عليه المرسوم من بنود. وتطرق البحث أيضا إلى إلغاء مرسوم نانت بإصدار مرسوم فونتينبلو عام ١٦٨٥م، من حيث دوافع إلغائه، والإجراءات التي اتخذها لويس الرابع عشر قبل إلغاء المرسوم، وأهم ما اشتمل عليه مرسوم فونتينبلو من بنود، وأثار إلغائه على فرنسا اجتماعيا، وسياسيا، واقتصاديا.

الكلمات الدالة: فرنسا، هنري الرابع، مرسوم نانت، لويس الثالث عشر، مرسوم اليس، لويس الرابع عشر، مرسوم فونتينبلو.

المقدمة

تعرض الهيجونوت إلى الاضطهاد الديني في فرنسا من قبل الكاثوليك إلى جانب ملوك فرنسا، وخاصة بعد توصل الملك فرنسوا الأول إلى اتفاق مع البابا ليو العاشر، والمعروف باتفاقية بولونيا في عام ١٥٦١م التي أسفرت عن اعتراف البابا بحق الملك في تعيين الأساقفة ورؤساء الأديرة في بلاده، وبهذه الاتفاقية ازدادت سلطة ملوك فرنسا تجاه طبقة رجال الدين، الذين انقطعت صلتهم بروما وضعف ولاؤهم للبابا، ولعل تلك الاتفاقية هي السبب في جعل ملوك فرنسا لا يتحمسون للهيجونوتية، ولا يجدون مصلحة شخصية في تشجيعها في بلادهم، مدى أربعين عاماً تقريبا (١٥٦٢ -١٥٩٣م).

واندلعت خلال تلك الأعوام في فرنسا الحروب الدينية بين الكاثوليك والهيجونوت، على أن دوافع هذه الحروب لم تكن دينية فحسب بل كانت سياسية أكثر منها دينية، وشهدت تلك الحروب العديد من المذابح، وعمليات الإنتقام، وتدمير الكنائس بين أصحاب المذهبين، وحاول ملوك فرنسا في تلك الفترة وضع حد لتلك الحروب، بإصدار مجموعة من المراسيم إلا أنها كانت مؤقتة، وهي أقرب إلى الهدنة منها إلى التسامح الديني، ولعل من أبرزها: مرسوم عام ١٥٦٢م، ومرسوم أمبواز عام ١٥٦٣م، ومرسوم سانت جرمان عام ١٥٧٠م، وسلام لاروشيل عام ١٥٧٣م، ومرسوم بوليو عام ١٥٧٦م، إذ كانت هذه المراسيم تنقض بسبب معارضة الكاثوليك لها، ولاحتدام الصراع الديني بين المذهبين.

وبقي الأمر على حاله حتى اعتلى هنري الرابع عرش فرنسا، والذي نجح بوضع حد للصراع الديني بإصدار مرسوم نانت في عام ١٥٩٨م. الذي تشكل من أربعة وثائق منفصلة تحتوي على: (٩٢) بندا، أطلق عليها بنوداً عامة، و(٥٦) بنداً،

أطلق عليها بنوداً سرية، بالإضافة إلى مذكرتين ملكيتين. لكن المرسوم في بنوده العامة والسرية، لم يضع الهيجونوت على قدم المساواة مع الكاثوليكيين، فسمح للهيجونوت العبادة في أماكن محددة ومعروفة، بينما سمح للكاثوليك بحرية العبادة في كل الأماكن التي منعوا فيها سابقاً.

وعلى الرغم من أن المرسوم قد منح الهيجونوت العديد من الحريات والحقوق الدينية والسياسية الا أنهم بدأوا يشعرون بالخوف من انتقاص الحكومة من حقوقهم التي اكتسبوها في مرسوم نانت، بسبب قيام حرب الثلاثين عاماً (١٦١٨ -١٦٤٨م) في ألمانيا بين الكاثوليك والبروتستانت' واحتدام المناقشات الدينية في فرنسا، والتي برهنت على أن الشعور الديني لا يزال قوياً، لذلك قرر الهيجونوت العمل على أن يستقلوا بمدنهم في جنوب فرنسا، فسار إليهم لويس الثالث عشر وحاصرهم في مونبلييه، ومنتوبان، ولاروشيل وقد قاوم الهيجونوت هذا الحصار، واستبسلوا في الدفاع عن كيانهم، إلى أن سقطت مونبلييه، وقبلوا الصلح الذي عرف بصلح مونبلييه في عام ١٦٢٢م، والذي كان من أهم شروطه التأكيد على مرسوم نانت.

وشكل تعيين لويس الثالث عشر الكاردنيال ريشيليو رئيساً للوزارة (١٦٢٤ - ١٦٤٢م)، تغييرا في سياسة الدولة اتجاه الهيجونوت اذ أخذ يسعى ريشيليو إلى سيادة نفوذ الملك داخل البلاد، وتوطيد سلطانه بالقضاء على كل منافسيه من الأشراف، والهيجونوت. وتوجت هذه السياسية بإسقاط معقل الهيجونوت مدينة لاورشيل عام ١٦٢٨م، واستطاع ريشيليو في العام التالي أن يكلل جهوده ضد الهيجونوت بعقد صلح معهم، عرف بصلح أو مرسوم اليس في عام ١٦٢٩م، حيث إنتزع من الهيجونوت الاستقلال السياسي الذي كانوا يتمتعون به من قبل بموجب مرسوم نانت.

ومع ذلك فقد أسهم هذا المرسوم في زيادة أتباع الهيجونوتية في فرنسا، من خلال منحهم الحرية الدينية، وكذلك حرية إنشاء الكنائس، وتقلد العديد من الهيجونوت مناصب أكاديمية، وفكرية، وكان ذلك سبباً في أن يواجهوا بحركة عدائية من قبل الكاثوليك توجت بإلغاء مرسوم نانت عام ١٦٨٥م. بإصدار مرسوم فونتينبلو والذي أنهى التسامح الديني، ومبدأ ازدواج الأديان في فرنسا.

المبحث الأول: مرسوم نانت

أولا: إصدار المرسوم

بعد وفاة هنري الثالث (Henry III) (١٥٧٤ -١٥٨٩م) أصبح هنري الرابع (Henry IIII) (١٥٩٤ -١٦١٠م) ملك دون مملكة بسبب عقيدته، إذ لم يعترف به سوى الهيجونوت (Huguenots) [(١)]، وقسم من النبلاء، ولم يعترف به الكاثوليك، حتى أن بابا روما كلمنت الثامن(Clement VIII) (١٥٩٢ -١٦٠٥م) أصدر قرار الحرمان ضده [(٢)]، علاوة على العصبة الكاثوليكية [(٣)]، التي كانت تعارضه بقوة، وكان

(١) الهيجونوت: لقب أطلق على البروتستانتيين من أتباع كالفن(Calvin)، وهو مأخوذ عن الكلمة الإلمانية(Eidgenossen) وتعني المتحدين. نور الدين حاطوم: تاريخ عصر النهضة الأوروبية، (لبنان: دار الفكر الحديث،١٩٦٨)، ص٢٣٩.

(٢) عبد المجيد نعنعي، أوروبا في بعض الأزمنة الحديثة المعاصرة(١٤٥٣-١٨٤٨)، (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٧٨)، ص٩٥.

(٣) العصبة الكاثوليكية: هي اتحاد كاثوليكي تشكل في فرنسا برعاية البابا كلمنت الثامن وفليب الثاني ملك إسبانيا بعد معاهدة بوليو(Beallieu) عام ١٥٧٦م التي منحت الهيجونوت حرية العبادة العلانية، وسعت العصبة إلى: تثبيت العقيدة الكاثوليكية في فرنسا، والقضاء على الهيجونوت، منع هنري نافار (الرابع) تولي عرش فرنسا فأصبح شعار العصبة "الجمهورية خير من تولي ملك من الهيجونوت". ليلى الصباغ: معالم تاريخ أوروبا في العصر الحديث،) دمشق: مطبعة جامعة دمشق، ١٩٨٩)، ص١٩٥؛ وليام لانجر:=

زعميها مايان (Mayenne) الحاكم الفعلي للعاصمة باريس، وذلك بدعم وتأييد من الملك فليب الثاني (Felipe II) ملك إسبانيا(١٥٥٦ -١٥٩٨م)، الذي كان منذ أمد بعيد يتدخل إلى جانب الكاثوليك ويعارض هنري الرابع، خاصة أنه بات يسعى منذ وفاة هنري الثالث لتنصيب ابنته اليزابيث (Elisabeth) ملكة على عرش فرنسا، باعتبارها قريبة من جهة أمها للملك المتوفى، لكن الفرنسيين رفضوا ذلك، لتعارضه مع الشعور القومي، ولأن القانون الفرنسي لا يجيز وراثة العرش للأناث [٤].

وقد تعددت المعارك بين هنري الرابع، والعصبة الكاثوليكية [٥] التي عارضت فكرة اعتلائه العرش، وتمكن من الإنتصار عليها في معركة ايفري (Ivry) في عام ١٥٩٠م، ما جعل طريق العاصمة سالكة بالنسبة لجيوشه، إلا ان وصول الجيش الأسباني حال دون دخوله باريس، وأمام استطالة نزاعه مع العصبة الكاثوليكية وحلفائها، وبدت له أن عقيدته كأنها هي المانع الأساسي الذي جعل ملكيته غير فعلية، لذلك دخل كنيسة سانت دنيس (St. Denis) في باريس وأعلن عن تحوله إلى

=موسوعة تاريخ العالم، ترجمة: محمد مصطفى زياده،(القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٣)،ج٤، ص ١٠٣٧؛ هربرت فيشر: أصول التاريخ الأوروبي الحديث من النهضة الأوروبية إلى الثورة الفرنسية، ترجمة، زينب عصمت راشد وآخرون،(مصر: دار المعارف، ط٣،١٩٦٥)، ص١٩٣؛ Cathal J.Nolan: The Age of Wars of Religion, (1000 – 1650) An Encyclopedia of Global Warfare and Civilization,(London: Greenwood Press,2006) , Vol.1,P236.

(٤) نعنعي، أوروبا في بعض الأزمنة، ص٩٥؛ عمر عبد العزيز عمر: دراسات في التاريخ الأوروبي والأمريكي الحديث، (الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية،١٩٩٢)، ص٢١٥؛ جميل عبيد: هنري الرابع ملك فرنسا ١٥٨٩-١٦١٠م أو قصة الصراع بين الطائفية وسيادة الروح القومية، مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة، س١١، ع١٣، ١٩٧٨، ص٢٩٠.

(٥) لمزيد من التفاصيل عن حروب هنري الرابع مع العصبة. انظر: نعنعي، أوروبا في بعض الأزمنة، ص٩٢-٩٤؛ عبيد، هنري الرابع ملك فرنسا، ص٢٨٧-٢٩٧.

الكاثوليكية، في عام ١٥٩٣م[٦]، وكانت هذه المبادرة هي المبادرة التي قربت إليه انصار الشرعية، ومؤيدي الملكية التقليدية، وكذلك المعتدلين من كل الجهات، والباحثين عن السلام، بعد أن طال غيابه عن فرنسا[٧]. وفي آذار ١٥٩٤م دخل هنري الرابع العاصمة باريس وأخذت تتلاشى المعارضة لشخصه، وخاصة معارضة العصبة الكاثوليكية، وذلك بعد أن رفع البابا كلمنت الثامن حرمان الكنيسة عنه في عام ١٥٩٥م، واعترف به ملكا على فرنسا[٨].

وقد واجه هنري عددا من المشاكل، منها: مشكلة حقوق الهيجونوت كطائفة مستقلة، ووضع أفرادها تجاه الدولة والقانون، والأغلبية الكاثوليكية، فالحروب الدينية اكدت أن الهيجونوت أقوياء[٩] كما ان أعدادهم قد ازدادت وأصبح باستطاعتهم في أي وقت ان ينزلوا إلى الميدان، لهذا لم يكن من اليسير إخضاعهم بسهولة، فقد كانوا في مركز يمكنهم من الوقوف من الملك موقف الند للند[١٠]، كما أن الهيجونوت وقفوا إلى جانبه في حروبه مع العصبة الكاثوليكية، ولكن بتحوله إلى

---

(٦) ذهب بعض المعاصرين أن هنري الرابع لم يكن مخلصا في تحوله إلى الكاثولكية حيث هدف من تحوله إلى تولي عرش فرنسا،واستعادة النظام.

Mack P. Holt: The French Wars of Religion, (1562-1629) (New York:Cambridge University Press,2005) ,P156.

(٧) H.G.K-nigsberger and George L. Mosse: Europe in the Sixteenth Century, (London: longman,1968) ;P270; Holt, The French Wars of Religion,P162-163

جول كريكر: الدرر الأوروباوية في تاريخ الأمة الفرانساوية، (الرباط: فليكس مونكو،١٩٢٦)، ص١١١؛ جفري برون: تاريخ أوروبا الحديث، ترجمة: علي المرزوقي، (عمان: الأهلية للنشر والتوزيع،٢٠٠٦)، ص٢١٠.

(٨) نعنعي، أوروبا في بعض الأزمنة، ص٩٦؛Holt, The French Wars of Religion,P162-164

(٩) زينب عصمت راشد: تاريخ أوروبا الحديث من مطلع القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر، (القاهرة: دار الفكر العربي، د.ت)، ص١٧٣-١٧٤;Holt, The French Wars of Religion,P165

(١٠) فيشر، أصول التاريخ الأوروبي، ص١٩٥.

الكاثوليكية في عام ١٥٩٣م، أغضبهم، فكان لابد من أن يضمن ولاءهم من جديد[١١].

وكان تخوف هنري من الهيجونوت في مكانه، ففي الأعوام من ١٥٩٤ - ١٥٩٧م، طلبوا منه السماح لهم بالتسلح، والبحث لهم عن تسوية قانونية تضمن لهم حقوقهم وحرياتهم السياسية والدينية، وامتنعت بعض التجمعات الهيجونوتية عن الإسهام في دفع ضريبة التاي [١٢] (Tailles) للخزينة الملكية، ليس هذا فحسب بل قام عدد من نبلاء الهيجونوت أمثال بويلون (Bouillon)، ولا تريمويل(La. Trémoille) بالتهديد بتنظيم عصيان مسلح، وتجديد الحرب في حال لم يوافق الملك على مطالبهم[١٣].

كما ان الحروب الدينية الطويلة خلفت للفرنسيين أوضاعاً إقتصادية وأمنية مترديه، فوجد هنري أن أفضل وسيلة لإعادة بناء فرنسا اقتصادياً، وسياسياً، لا يكون إلا بإصدار مرسوم، ينهي حالة الصراع الديني فيها[١٤].

ثانيا: المرسوم

بعد مفاوضة هنري زعماء الكاثوليك والهيجونوت ومساومتهم على قبول تسوية تضع حداً للصراع الديني بينهم كما تضمن لهم حقوهم وحرياتهم الدينية[١٥].

---

(١١) الصباغ، معالم تاريخ أوروبا، ص١٩٥.

(١٢) ضريبة التاي(الأرض): وهي ضريبة كانت تفرض على الأرض والمنازل وعلى الطبقات التي لا امتيازات لها. The New Cambridge Modern History: The Counter-Reformation and Price Revolution(1559-1610) ,Vol 3, P 314 ؛Edited By: R. B.Wernham, (Cambridge: Cambridge University Press, 2008)

زينب، تاريخ أوروبا الحديث، ص١٧٦.

(١٣) Holt, The French Wars of Religion,P165; The New Cambridge Modern History ,Vol 3, P 313.

(١٤) نعنعي، أوروبا في بعض الأزمنة، ص٩٧؛ The New Cambridge Modern History ,Vol 3,P 314-315 Geoffrey Treasure: Richelieu and Mazarin,(London & New York: Routledge,1998) ,P15.

(١٥) لمزيد من التفصيل عن موقف الكاثوليك والهيجوتوت من المرسوم انظر البحث: ردود الفعل على المرسوم.

فقد نجح بأصدار مرسوم نانت في نيسان من عام ١٥٩٨م. الذي تشكل من أربعة وثائق منفصلة: (٩٢) بنداً، أطلق عليها بنوداً عامة، و(٥٦) بنداً، أطلق عليها بنوداً سرية، بالإضافة إلى مذكرتين ملكيتين[١٦].

١- البنود العامة:

صدرت في ١٣ نيسان وتكونت من(٩٢) بنداً، وتمهيداً، وختمت بالشمع الأخضر، وربطت بأسلاك من الحرير الأخضر والأحمر[١٧]. وفي التمهيد عبر هنري الرابع عن سعادته بتوقف العداء والحروب في المملكة بشكل تام، وعبر عن أمله ان تزدهر البلاد، وان يسودها الأمن والسلام بعد سلسلة الحروب الطويلة التي عاشتها[١٨].

ومن خلال دراسة البنود العامة يتبين لنا بأن الهدف الأساسي من المرسوم أنهاء الصراع الديني والعفو العام، الذي كان واضحاً في(البند١) الذي حرم فيه ذكر كل ما حدث منذ بداية شهر آذار لعام ١٥٨٥م[١٩] ، حتى وصول هنري الى العرش[٢٠]، وفي

---

(١٦) إن الاختلاف الرئيسي بين البنود وبين المذكرات هو أن مجموعة البنود قد تم تسجيلها في البرلمان، ويمكن فقط أن يتم نقضها عن طريق مرسوم آخر يتم تسجيله في البرلمان. أما المذكرات الملكية فيتم إصدارها من الملك بنفسه ويمكن أن يتم سحبها وفقاً لأهواء الملك ويمكن طبعاً تجاوزها من قبل الملك اللاحق.
Holt, The French Wars of Religion,P166-167.

(١٧) Édit de Nantes En Faveur de Ceux de La Religion Prétendue Réformée Henri IV, roi de France: avril1598,(Une Édition Numérique Réalisée par Nicole Dufournaud:Université de Nantes,2003) .,P32.

(١٨) . Ibid,P5

(١٩) شهد عام ١٥٨٥م إصدار مرسوم من قبل هنري الثالث أمام ضغط العصبة الكاثوليكية سحب بموجبة كل الحقوق والامتيازات التي كان قد حصل عليها الهيجونوت خلال الحروب الدينية مما أدى إلى عودة القتال مجددا في ذلك العام. نعني، أوروبا في بعض الأزمنة،ص٩٣.

(٢٠) .Édit de Nantes,P6-7

(البند٢) حرم فيه أيضا إحياء ذكرى ما حدث، مع ضرورة التاكيد على جميع الأطراف أن يعيشوا بسلام، كإخوان ومواطنين ملتزمين، ومهدداً بذات الوقت بإيقاع العقوبة على كل من يقوم بعكس ذلك[٢١].

كما منح الفرنسيين الذين تم استبعادهم خارج المملكة، منذ وفاة هنري الثاني بسبب الدين أو المشاكل الداخلية، الحرية في أن يعودوا ويقطنوا في المملكة من جديد[٢٢]، مع منح أطفالهم الذين ولدوا في خارج المملكة الجنسية الفرنسية(البند٧٠)[٢٣]، وأكد المرسوم على ضرورة إطلاق سراح أي مسجون تحفظت عليه السلطات القضائية، أو تم إرساله على القوارب الملكية [٢٤]، بسبب الإضطرابات، أو بسبب التزامه بالدين الإصلاحي[٢٥] (البند٧٣)[٢٦]، مع عدم اضطهاد أو اتهام الهيجونوت بتهم عادية أو استثنائية أكثر من الكاثوليكيين، وفي حال تم اتهام بعضهم

---

(٢١) Ibid,P7.

(٢٢) بعد وفاة هنري الثاني عام ١٥٥٩م اشتعلت الحروب الدينية في فرنسا من عام ١٥٦٢-١٥٩٣م والتي نتج عنها تهجير وقتل عدد كبير من الهيجونوت وكذلك الكاثوليك.

(٢٣) Édit de Nantes,P24-25.

(٢٤) كانت عقوبة الإرسال إلى القوارب الملكية من أخطر وأقصى العقوبات في فرنسا فعلى سبيل المثال: ففي عام ١٦٨٥م و ١٧١٥م أصدر لويس الرابع عشر أحكاماً قضائية في حوالي الـ (١٥٠٠) من الرجال ليخدموا كعبيد على القوارب الملكية وكانت الحياة على هذه القوارب شبه مستحيلة فلقرابة الثلاثة أشهر عاش (٥٠٠) رجل في مكان يصل إلى (٥٠م) في (١٢م) عرض مقيدين بقوارب ضيقة وأرجلهم وأقدامهم مقيدة ليجر كل رجل منهم أغلالاً تصل في وزنها إلى (١٣٠) كغم.مصارعين على متنها الموت.
Philip F. Riley: A Lust for Virtue Louis XIV's Attack on Sin in Seventeenth – Century France,(Westport: Greenwood Press,2001) ,P218.

(٢٥) أتباع الدين الإصلاحي: المصطلح الذي كان يطلقه الكاثوليك على الهيجونوت ويرمز لهم بـ (RPR) والتي تعني بالفرنسية أتباع الدين الإصلاحي.
William Beik:Louis XIV and Absolutism A Brief Study With Documents,(New York: Bedford/ST. Martin's,2000) ,P184.

(٢٦) Édit de Nantes,P25 .

بإحدى التهم فإنهم يملكون الحق في الاستئناف أمام القضاة(البند٧٤)[٢٧]، ومع عدم ملاحقة أتباع الدين الإصلاحي، وقادة الحركات العامة، قانونيا لمعارضتهم الدولة في فترة الإضطرابات(البندين٨٤ -٨٥)[٢٨].

حتى ان العفو العام[٢٩]شمل الجرائم التي ارتكبت أثناء الأحداث، كجرائم القتل، واضطهاد النساء، والسرقة، وعمليات الحرق، والتي كانت ترتكب بناءاً على الأوامر العسكرية، ولضرورات الحرب (البند٨٦)، أما الجرائم التي ارتكبت دون أن يصدر فيها أوامر عسكرية للجنود، فقد أكد المرسوم في (البند٨٧) على ملاحقة مرتكبي هذه الجرائم قضائيا، وإصدار أقصى العقوبات بحقهم [٣٠].

كما منح الهيجونوت العديد من حقوق الدينية والمدينة: ففي البنود(٦ -١١) سمح لهم أن يعيشوا ويستوطنوا في كل مدن وأماكن المملكة، من دون أن يتعرضوا إلى التحقيق أو الإساءة، وسمح أيضا لجميع اللوردات والنبلاء، أن يمارسوا شعائرهم الدينية في أماكن تجمعهم الرئيسية، أو أماكن أقامتهم مع عائلاتهم، وكذلك في بيوت الاقطاعيين، على أن تقتصر على عائلاتهم وخدمهم، خاصة في مناسبات أعياد

---

(٢٧) Ibid,P25.

(٢٨) Ibid,P29.

(٢٩) فقد تم إصدار العفو عن عدد من الأشخاص بموجب البنود(٥٦) السرية فعلى سبيل المثال: تم إعادة الأسقف نيكولاس جريمولوت (Nicolas Grimoult) وإعادة كافة ألقابه وممتلكاته وذلك في منطقة آليكون (Alençon) (البند ٥٢). وتم إلغاء وإبطال القضايا المرفوعة ضد آرماند كورتينز(Armand Courtines) بسبب التجاوزات التي ارتكبها في قرية مولاونت(Millau/Millaut) في عام ١٥٨٧م و وكذلك إبطال القضايا المرفوعة ضد جين رينز (Jean Renes) وبيري سيجنورنت (Pierre Segneuret). وكذلك القضايا القانونية والمرافعات والأحكام التي تتعلق بالسيد لانوي (La Noue) والسيد أوديت ديلانوي (Odet de La Noue) وابنه في فترة الحروب (البندين٥٤و٥٦).Ibid,P42-43

(٣٠) Ibid,P29-30.

الميلاد، على أن لاتكون هذه البيوت ضمن القرى التي تتبع للورد كاثوليكي، مع أمكانية أن يمارسوا شعائرهم الدينية في المناطق المحظورة، بشرط الحصول على إذن المالك وكبار القضاة[٣١].

ومنح الهيجونوت أيضا حرية ممارسة العبادة في المناطق التي كانوا موجودين فيها بشكل علني، في الأعوام ١٥٨٦م و ١٥٩٧م، والمناطق التي حصلوا على امتيازها[٣٢] بموجب مرسوم السلام لعام ١٥٧٧م[٣٣]. وعلى أن لايتم إجبارهم على ترك دينهم، والتعرض لهم أو اضطهادهم، أو مضايقتهم أو الإساءة إليهم في أي حال من الأحوال(لبند١٩)[٣٤]. كما حصلوا على حق دخول المكاتب الحكومية بدون أن تتم مضايقتهم، وممارسة العمل وتولي الوظائف الحكومية والمناصب الرفيعة في الدولة، على أن يقوموا بأداء قسم الولاء للملك (البندين ٢٤و٢٧) [٣٥].

وعلى الرغم من الحريات السابقة التي حصل عليها الهيجونوت فقد فرضت عليهم مجموعة من القيود في الوقت الذي لم يفرض فيه على الكاثوليك أية قيود لذا اعتبرت البنود العامة نصرا للكاثوليك على حساب الهيجونوت، فقد منح الكاثوليك بموجب (البند ٣) من المرسوم، حرية ممارسة العبادة في كل أماكن ومناطق المملكة،

---

(٣١) Ibid,P8-9.

(٣٢) Édit de Nantes,P9 .

(٣٣) وقع خلال عام ١٥٧٧م بين الهيجونوت والكاثوليك مرسومين الأول برجراك (Bergrac) والذي منح الهيجونوت حرية إقامة شعائرهم الدينية في عدد من المدن الفرنسية، والثاني مرسوم بويترز(Poitiers) والذي كانت بنوده تشبه إلى حدٍّ كبير بنود مرسوم نانت.Mack P. Holt, The French Wars of Religion,P112;
Roland Mousnier:The Assassination of Henry IV; The Tyrannicide Problem and the Consolidation of the French Absolute Monarchy in the Early Seventeenth Century. Translated by: Joan Spencer,(New York: Charles Scribners Sons,1973) ,P143.

(٣٤) Édit de Nantes,P11.

(٣٥) Ibid,P13.

حتى في كل الأماكن التي منع فيها الكاثوليك في السابق من ممارسة العبادة فيها[٣٦]، وسمح لهم أيضا الحصول على ضريبة العشر، وعلى عوائد أرباحها، وعلى حق استعادة كل حقوقهم المملوكة، مثل: كنائسهم، أو بيوتهم، التي سيطر عليها الهيجونوت وقت الحروب الدينية [٣٧].

وحرم على الهيجونوت القيام بأية أعمال لها علاقة بالدين، مثل: التبشير، وإعطاء الدروس والتعليم العام للأطفال، إلا في الأماكن التي يمارسون فيها عبادتهم (البند ١٣)[٣٨]. واجبر الهيجونوت أيضا على أن لا يعملوا وأن يتركوا محلاتهم مفتوحة في أيام الإحتفالات الكاثوليكية(البند ٢٠) [٣٩]، وحرموا أيضا من طباعة وبيع الكتب المتعلقة بهم بشكل علني، إلا في المدن والأماكن التي يمارسون فيها عبادتهم (لبند ٢١)، وأُجبروا كذلك على مراعاة قوانين الكنيسة الكاثوليكية، المتعلقة بالزواج والعقود(البند ٢٣) [٤٠].

---

(٣٦) لعل من أبرز المناطق التي سمح للكاثوليك ممارسة شعائرهم الدينية هي مدينة ولاروشيل(Rochelle) التي كانت منذ عام ١٥٦٨م مدينة مستقلة ذات سيادة جمهورية تخضع للهيجونوت. Holt, The French Wars of Religion,P191-192

(٣٧) Édit de Nantes,P7.

(٣٨) Ibid,P10.

(٣٩) لم يتلزم بعض الهيجونوت بما جاء في مرسوم نانت مثل احترام الاحتفالات الدينية للكاثوليك. ففي عام ١٦٧٨م تلقى الحاكم المحلي عدداً من الشكاوي من رئيس التجمع الكنسي الكاثوليكي في نيمز(Nimes) أنه في يوم الأحد ٨ أيار وعندماكان القديس، في طريقه لزيارة شخص مريض ويحمل معه قرباناً مقدساً تحت مظلة مرافقاً لمجموعة من الكاثوليكيين يحملون شموعاً مضيئة صادفهم مجموعة بروتستانتية ليقوموا بالسخرية منهم والتهكم علىهم: " **بأنه يجب أن يتم إلقاء الكهنة من الجسر لأن البابا يبدوا بأنه أعمى ليحمل شموعاً مضيئة في وضح النهار**" كما أن بعضهم رفض طلب ضابط النظام الذي كان يمشي أمام هذه المسيرة بضرورة أن ينزعوا قبعاتهم كرمز لتكريم هذا القداس.
Louis XIV and Absolutism,P186-187. Beik,

(٤٠) Édit de Nantes,P11-12.

وأنكر المرسوم أيضا على الهيجونوت وجود تنظيم سياسي لهم، من خلال اجبارهم على التخلي والإقلاع عن كل الأعمال الإستخبارية داخل وخارج المملكة، وعقد أي اجتماعات لم يسمح بها المرسوم، وهدد كلٌ من يفكر في عقد أي اجتماعات مخالفة لبنود المرسوم بعقوبة شديدة وسيطلق عليهم تهمة خارقي الأوامر (البند٨٢)[٤١]

أما بقية البنود التي وردت في المرسوم من (٣٠ -٦٩) ، فقد ركزت على تأسيس غرف في بعض برلمانات[٤٢] فرنسا، عرفت بغرف المرسوم، من أجل تحقيق العدالة، وحفظ السلام، والتوافق الديني في فرنسا، ففي(البنود ٣٠ -٣٢) أمر الملك بتأسيس غرفة في برلمان باريس، مكونة من رئيس وستة عشر مستشاراً من البرلمان، مع ضرورة تاسيس غرف المرسوم في برلمانات كاستر (Castres)، وغرو نوبل(Grenoble)، وبوردوكوس (Bordeaux)، على أن تتكون هذا الغرف من رئيسين، واحد كاثوليكي، والآخر من أتباع الدين الإصلاحي، بالإضافة إلى اثني عشر مستشارا ، ستة منهم كاثوليكيين، وستة آخرين من أتباع الدين الإصلاحي، علاوة على تأسيس غرف

---

(٤١) Ibid,P29.

(٤٢) البرلمان الفرنسي: مؤسسة سياسية تطورت من المجلس الملكي الخاص وكان دورها مقتصراً على تقديم الاستشارة للسلطة الملكية، وفي القرن الثالث عشر انيط به وظيفة قضائية، وكان البرلمان مقتصرا على مدينة باريس الذي أوكلت إليه مهمة التشريع في جميع المدن التابعة لفرنسا وفي عام ١٤٤٣م منح الملك شارل السابع(Charles VII) لانجودك برلمانها الخاص، وبعد ذلك تم السماح إلى الاقاليم المختلفة بإقامة برلماناتها الخاصة والتي وصل عدده (١٦) و كان لها حق الفصل النهائي في القضايا المهمة وتسجيل القوانين التي يصدرها الملك وحق إبداء الملاحظات عليها دون أن يكون لها حق تعديلها، أو إبداء رأي في القوانين. يونس عاس نعمة: حركة الإصلاح الديني في فرنسا(١٥١٥-١٥٦٠)، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، م٤، ع١، ٢٠١٤، ص٢٠٣؛ رأفت الشيخ: ثورة بلا قائد،(القاهرة: كتاب الجمهورية، ٢٠١١)،ص١٦-١٧.

المرسوم في دوفين(Dauphine)، ونورماندي(Normandy)، وبريتاني(Brittan) [٤٣]. على أن يتم تأسيس هذه الغرف خلال ستة أشهر(البند ٤٣) [٤٤].

ولتجنب كل الخلافات التي قد تنشأ بين قاعات البرلمان وبين الغرف المختلفة للمحاكم، فقد أمر الملك أن يتمتع أتباع الدين الإصلاحي بموجب هذا المرسوم بتسوية عادلة، بغض النظر عن القوانين السابقة، مع التحريم على المحاكم، والمكاتب ذات السيادة القانونية، اتخاذ أي إجراء بدون الرجوع إلى المرسوم وإلى غرفة المرسوم (البندين ٦٣و٦٤) [٤٥].

لقد كان تأسيس غرف المرسوم عملاً ناجحا، حيث تم استبدال الحرب المفتوحة بين الهيجونوت والكاثوليكيين إلى حرب باردة، فالآلاف من القضايا التي رفعت لغرفة المرسوم خلال القرن السابع عشر الميلادي تشهد على ذلك، أي: أن الأطراف المتخالفة لجأت إلى القضاء وإلى المحاكم بدل استخدام العنف [٤٦]، ومع ذلك فأن الكثير من القضايا بقيت معلقة دون البت فيها، وذلك لعدم فعالية القضاة من كلا الحزبين في فرض المرسوم، ومماطلة بعض الحكام القضائيين في البرلمان في تنفيذ الاحكام القضائية [٤٧].

---

(٤٣) Édit de Nantes,P13-14.

(٤٤) Ibid,P17-18.

(٤٥) Ibid,P22.

(٤٦) P. J.Knecht: The French Wars of Religion (1559-1598) ,(London: Longman is an Imprint of Pearson,2010) ,P83.

(٤٧) Holt, The French Wars of Religion,P178

٢- البنود (٥٦) السرية:

صدرت في الثاني من أيار ١٥٩٨م، وتعد مرسوما ثانويا يوضح عدداً من البنود الصادرة في مرسوم نانت، واستخدم الشمع الأصفر لختمها[٤٨]، وتعاملت هذا البنود مع عدد من الاستثناءات، ومع عدد من البنود العامة المحذوفة، أغلبها كان يمنح الهيجونوت مزيداً من الحريات، وهي استكمالا للحريات التي حصلوا عليها من خلال البنود العامة، ففي (البنود١ -٥) منحوا حرية الاعتقاد الكاملة، مع عدم إجبارهم على الإسهام في تصليح أو في بناء الكنائس والمعابد والكاتدرائيات[٤٩]، أو المشاركة في الاحتفالات الدينية الكاثوليكية، بوضع رداء على بيوتهم، أو تزيين مداخلها، ومنحوا أيضا حرية ممارسة عباداتهم بشكل علني في بيمبول(Pimpoul)[٥٠]، كما منحوا في (البند١٠) حق ممارسة أية وظيفة ذات شأن رفيع، سواءً أكانت مكتبية، أو ملكية، بشرط أن يقسموا على أداء مهامهم في خدمة الملك بكل إخلاص[٥١]، وفي(البنود١٤ -١٦) سماح لهم بممارسة العبادة العامة في الملكيات الخاصة بهم، وحرية ممارسة العبادة في مكان واحد مخصص تلك الغاية في كل ضاحية، من

---

(٤٨) Édit de Nantes,P44.

(٤٩) الكاتدرائية: كنيسة يرعاها قسيس بمرتبة مطران، ويقوم بإدارة المنطقة التي يتعهدها من تلك الكاتدرائية. تادرس يعقوب ملطى: قاموس المصطلحات الكنسية، نقله إلى القبطية: شاكر ميخائيل، (القاهرة: مطبعة الأخوة المصريين،١٩٩١)، ص٤١؛ الموسوعة العربية العالمية، (السعودية: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩)،م١٩، ص١٧.

(٥٠) Édit de Nantes,P33-34.

(٥١) Ibid,P35.

ضواحي[٥٢] دي اورلانز(d´Orléans)، وبورجيز، ونشر تعاليم الدين الإصلاحي في هذه الأحياء، وفقا لمرسوم نانت[٥٣].

كما منحوا حرية قرع أجراس الكنائس، وإلقاء الخطب، والمواعظ الدينية في الأماكن التي سمح لهم فيها بالعبادة العلنية، مع حرية التنقل إلى هذه الأماكن، وكذلك إنشاء مدارس عامة فيها(البنود٣٤ -٣٧)[٥٤]. وسمح الملك لهم بعقد اجتماعات خاصة، بحضور قاض ملكي، يمنحهم السلطة لجمع أي مبلغ من المال يعتبر ضرورياً، لدفع نفقات اجتماعاتهم ولدفع الأموال المخصصة للعبادة (البند٤٤) [٥٥].

وقد فرضت بعض القيود على الهيجونوت ومنها منعهم من ممارسة عباداتهم في العديد من المدن والقرى والضواحي الفرنسية ومنها: ريمس(Reims)، وروكراي(Recroy)، تولوز(Toulouse) وضواحيها، وفي أي ضواحي قريبة من قرى فيليمر(Villemur)، وكارامان(Carman)، وجزيرة جوردان(Jourdan)، ومونتيسكويو(Montesquieu)، وديجو (Dijon)، وشارونز(Châlons)، وسونس(Soissons)، وسينز(Sens) (البنود١١، ١٢، ١٨، ٢٠، ٢٢ -٢٣، ٢٥ - ٢٦، ٣٠ -٣١)[٥٦].وحصرت أماكن الدفن الخاصة بهم في مدينة باريس، في المقبرتين اللتين كانتا يتم استخدامهما سابقا، وهما: لاترينتي(La Trinité)، وسانت

---

(٥٢) الضواحي: هذه الكلمة تعني الأحياء الموجودة في القرى التي لا يمكن لأتباع الدين الإصلاحي أن يؤسسوا أو يمارسو فيها العبادة إلا ما سمح لهم بموجب مرسوم ١٥٧٧م. Ibid,P35.

(٥٣) Ibid,P35-36.

(٥٤) Ibid,P38-39.

(٥٥) Ibid,P41.

(٥٦) Ibid,P35-38.

جيرمان(Saint-Germain)، مع منحهم مكانا ثالثاً على أن يكون بعيداً عن ضاحية سانت هورين (Saint-Honoré)، وسانت دينس (Saint-Denis) (البند٤٥)[٥٧].

وتضمنت البنود من (٤٦ -٤٩) معلومات عن تشكيل غرفة برلمان باريس، سواء من الكاثوليكين أو أتباع الدين الإصلاحي، وطريقة اختيارهم، فالرؤساء الكاثوليكيين، والمستشارين، يتم اختيارهم عن طريق الملك، أما المستشارون من أتباع الدين الإصلاحي فإنه يتم اختيارهم عن طريق التصويت، وفي حالة غياب الرئيس الأعلى لغرف الحزبين عن الجلسات القانونية، فإنه يجب أن تتم مشاركة الجلسات من قبل رئيسين، إما بشكل مشترك، أو بالتبادل، لمدة شهر أوعدة أسابيع، وإذا ما أصبح الشاغر فارغاً وهو لأتباع الدين الإصلاحي في غرف المرسوم، فإنه يجب أن يتم تعبئته من قبل أشخاص قادرين، يتم الإجماع عليهم في التجمعات الدينية، أو الأحزاب الدينية التي ينتمون إليها[٥٨].

ومما سبق يتضح أن البنود العامة والسرية، هي: عبارة عن مجموعة من الخطوات والقرارات، التي أراد بها هنري تهدئة الأطراف المتناحرة، لتحقيق أهداف مرحلية، يتمكن من خلالها تسوية أمور الحروب، وتنظيم مبدأ التعايش الديني المشترك، بحيث يتم الحفاظ على دين الأغلبية، وفي نفس الوقت حماية دين الأقلية[٥٩].

لكن المرسوم في بنوده العامة والسرية، لم يضع الهيجونوت على قدم المساواة مع الكاثوليكيين، فسمح للهيجونوت العبادة في أماكن محددة ومعروفة، بينما سمح

---

(٥٧) Ibid,P41.

(٥٨) Ibid,P41-42.

(٥٩) Keith P. Luria: Sacred Boundaries Religious Coexistence and Conflict in Early – Modern France,(Washington D.C: The Catholic University of America Press,2005) ,P9.

للكاثوليك بحرية العبادة في كل الأماكن التي منعت فيها سابقاً، وسمح للهيجونوت في نشر وطباعة كتبهم في قراهم، أما في الأماكن الأخرى فكانت كتبهم عرضة للرقابة.

٣- المذكرات الملكية:

أما المكسب الأكثر أهمية الذي تحقق للهيجونوت لم يأت في البنود العامة، أو في البنود السرية، ولكنه جاء في المذكرات الملكية التي تم إصدارها خلال أسابيع قليلة من إعلان المرسوم، لتمنح الهيجونوت تنازلات لم يسبق لها مثيل، على أن تنتهي مدة صلاحيتها بعد (٨) سنوات من إصدارها، وقد أجبر هنري على إصدار هذه التنازلات على شكل مذكرات ملكية، لأنه كان يعرف بأن البرلمان سوف يرفض تسجيلها.

الأولى: صدرت في ٣ نيسان ١٥٩٨م، وقد منحهم الملك بموجبها دعماً سنوياً قرابة (٤٥) ألف إيكو[٦٠] (Écus)، على أن يوزع على النحو التالي: باريس(Paris)، (٦) آلاف، رويـــــن(Rouen)، (٦)آلاف، (٣)آلاف، لأورلانـــــز، (٤)آلاف، لتورس(Tours)، (٤)آلاف، لبيتوريس(Poitiers)، (٨)آلاف، ليموج(Limoges)، (٦) آلاف، لبورديكس (Bordeaux)، (٨)آلاف، لدفع رواتب رعاة الأبرشيات من الهيجونوت، على أن لا يكون هناك أي تقليص أو تأجيل للمدفوعات بسبب العجز الذي قد يحدث لأي سبب من الأسباب[٦١].

---

(٦٠) إيكو: عملة ذهبية أصدرها لويس التاسع عام ١٢٦٦م، وكلمة إيكو: مشتقة من الكلمة اللاتينية(Scutum) وتعني الدرع، وسميت العملة بهذا الإسم لأن تصميمها يتضمن وجود درع منقوش عليها، وبداخل الدرع زهرة الزنبق في ثلاث زهرات، والثاني زهرتان والسفلى زهرة واحدة. وسكّت أكثر من مرة مع اختلاف نقوشها، وأوزانها أعوام ١٣٣٧م،١٤٤٥م، ١٥١٥م. محمود سعيد عمران: النقود في أوروبا في العصور الوسطى، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع،٢٠١١)،ص٨٩، ٩١، ٩٣، ٩٥.

(٦١) Édit de Nantes,P45.

الثانية: فقد صدرت في اليوم الأخير من شهر نيسان لعام ١٥٩٨م، أعلن الملك في بداية المذكرة عن دوافع إصدارها منها: رغبته الكاملة في طمأنة رعاياه ممن أطلق عليهم اسم أتباع الدين الإصلاحي، واستجابة لطلباتهم ورغباتهم التي تتعلق بحرية الاعتقاد، ولشعور الملك بإخلاصهم، ولإنهاء حالة الصراع الديني في فرنسا [٦٢].

وقد سمح للهيجونوت بموجب المذكرة الثانية بوجود قوة عسكرية لهم في (٢٠٠) قرية، تقع تحت سلطاتهم، مع تخصيص دعم سنوي لها بمبلغ (١٨٠) ألف إيكو [٦٣]، وأن يؤمن أتباع الدين المذكور بكافة الضمانات التي تحميهم وتحمي ممتلكاتهم [٦٤]. ومن خلال هذه المذكرات يستنتج الباحث عدة أمور:

١ - أن التنازلات التي قدمها هنري الرابع للهيجونوت دلت على رغبته في تحقيق السلام في فرنسا، وضمان قبول الهيجونوت لمرسوم نانت.

٢ - أنه مهد للهيجونوت إنشاء دولة داخل الدولة، من خلال سيطرتهم على عدد من القرى وتسليحها، علاوة على تقديم الدعم المالي لها، وهذه التنازلات هددت أمن فرنسا الداخلي، مما حدا بلويس الثالث عشر (Louis XIII)(١٦١٠ - ١٦٤٣م)، بعد هزيمة الهيجونوت في عام ١٦٢٨م، على تعديل مرسوم نانت بإصدار مرسوم اليس (Alais)، الذي صدرفي عام ١٦٢٩م، والذي أكد في بنده(١٩) على ضرورة تدمير كل التحصينات في المدن والأماكن التي كان يسيطر عليها الهيجونوت في مدة لا تتجاوز(٣) أشهر [٦٥].

---

(٦٢) Ibid,P46.

(٦٣) Ibid,P46.

(٦٤) Ibid,P41-42.

(٦٥) لمزيد من التفصيل عن مرسوم اليس أنظر البحث: نص مرسوم اليس.

ثالثا: ردود الفعل على المرسوم:

الكاثوليك:

لاقى المرسوم معارضة شديدة من الكاثوليك، وذلك لأن أغلبيتهم لم تكن راضية عنه، لأنه منح الهيجونوت حقوقا مدنية، ودينية، وسياسية [٦٦]، فقد عارضه كهنة الكنائس الذين خافوا من تقليص عوائدهم المالية، ومن إضعاف سلطاتهم في حال تم الاعتراف بمرسوم نانت من قبل الدولة [٦٧]، وكانوا يفترضون بأن الملك سيتخذ إجراءات لتغيير عقيدة الهيجونوت تحت تأثير التهديد والنفي، واعتبروا إن طمأنتهم ومنحهم وجوداً قانونياً، وإعطاءهم ضمانات تسمح لهم بممارسة شعائرهم الدينية، وأن يعاملوا بنفس الطريقة التي يعامل بها الكاثوليك، تعد دليلا قاطعا على الخيانة، وبأنها ذنب لا يغتفر [٦٨].

فقام عدد من رجال الدين الكاثوليك بمهاجمة المرسوم، ومنهم: الكاهن كابوشين (Capuchins)، الأب آرشانجو دوباي(Archange du Puy) في كنيسة سان جيرمان ليكيروا،(Saint-Germain LAuxerrios)، والأب جان باتيســـــت (Jean Baptiste) في كنيسة سانت إيتيان دومونت (Saint- Etienne du Mont) في باريس، وذلك في نهاية عام ١٥٩٨م [٦٩].

---

(٦٦) جول مازاران: دليل السياسي الناجح، وصايا السياسي الفرنسي الداهية الكاردينال جول مازاران للدخول في عالم السياسة والشهرة، نقله إلى العربية وقدم له وعلق عليه: خميس حسن،(القاهرة: دار الطلائع للنشروالتوزيع،٢٠٠٦)،ص٢١.

(٦٧) Charles Weiss: History of the French Protestant Refugees from the Revocation of the Edict of Nantes to our own days, Translated from the French By: Henry William Herbert. With an American Appendix By A Descendant of the Huguenots,2Vol,(New york:Stringer and Townsend 222 Broadway, 1854) Vol1,P31.

(٦٨) Ibid.

(٦٩) Roland,The Assassination of Henry IV, P 150.

وقد نظم القديس جان باتيست صلاة تهدف إلى منع النبلاء في البرلمان من المصادقة على المرسوم، وعدداُ من المواكب تحمل القربان المقدس [٧٠]، وتوجهت هذه المواكب إلى قلب العاصمة الفرنسية مباركة كل من يقف في وجه هذا المرسوم، وفي النهاية منع البرلمان في باريس هذه المواكب على أساس أنها كانت أعمالاً تحرض على العصيان، أكثر من كونها أفعالاً تدل على التقى والصلاح [٧١]، وحدث نفس الشيء في منطقة لامانس (Le Mans) وتوروز(Tours)، حيث انتشرت عدد من المواكب التي تظاهرت ضد المصادقة على هذا المرسوم [٧٢].وفي بعض المناطق شوه العديد من الكاثوليكيين قبور الهيجونوت، وأساءوا إلى جنائزهم، وروج بعض الكتاب الكاثوليك فكرة خلع الملك الملحد، أو حتى قتله [٧٣].

وشاركهم في ذلك بعض السياسيين الكاثوليكيين المعتدلين، الداعمين للسلام وللتسامح الديني، أمثال: آشيل/ آخيل دوهارلي(Achille de Harlay)، وهو أول رئيس برلمان في باريس(١٥٨٢ -١٦١١م)، بالإضافة إلى جاك أوغست دي ثو (Jacques-Auguste de Thou) (١٥٥٣ -١٦١٧م)، وهو مؤرخ وعضو في البرلمان الباريسي، بالإضافة إلى المؤرخ إتيان باسكيير (Etienne Pasquier) (١٥٢٩ - ١٦١٥م)، والمؤرخ بيري دي ليستويل (Pierre de LEstoile) (١٥٤٦ -١٦١١م)،

---

(٧٠) القربان المقدس: أحد أسرار الكنيسة الكاثوليكية السابعة، ويسمى نظرية الحلول ويقصد به تحول الخبز والنبيذ في جسم المتناول لهما في المراسيم الدينية إلى لحم المسيح ودمه، وأن هذا السر يساعد على حضور المسيح بجسده ودمه ونفسه ولاهوته تحت أغراض الخبز والخمر. نعمة، حركة الإصلاح الديني في فرنسا،ص٢٠٤.

(٧١) Roland,The Assassination of Henry IV, P 150.

(٧٢) Ibid.

(٧٣) ميلاد أ. المقرحي: تاريخ أوروبا الحديث(١٤٥٣-١٨٤٨)،(بنغازي: منشورات جامعة قز يونس،١٩٩٦)،ص١٠٩؛ Roland, The Assassination of Henry IV, P 156.

وهو كاتب في البرلمان، كل هؤلاء الأشخاص احتجوا كثيراً على المرسوم لأنه منح الهيجونوت كثيرا من التنازلات السياسية والدينية (٧٤).

وبسبب اعتراض الكاثوليكيين على الحقوق الممنوحة للهيجونوت فإن أكثر البنود كانت جدلية لم يتم ذكرها في البنود العامة، وإنما ظهرت في البنود السرية، وفي المذكرات الملكية التي اصدرها الملك بنفسه.

الهيجونوت:

رفض زعماء الهيجونوت في البداية المرسوم، لذلك سارع هنري الرابع إلى مفاوضتهم على قبوله، وقد وافقوا على ذلك ضمانا لحقوقهم، وحفاظا على أنفسهم بعد الحروب الطويلة مع الكاثوليك، وخاصة بعد أن منحهم الملك العديد من الحقوق في البنود السرية، والمذكرات الملكية التي أمر فيها أن يتم منحهم دعماً سنويا، مع وجود قوة عسكرية تقع تحت سلطاتهم في (٢٠٠) قرية.

وقد اعتبر بعض الهيجونوت أن هذا السلام الديني هو ضرورة مؤلمة، لأنهم رأوا بأن التقسيم الديني غير مقبول، يؤكد ذلك مقولة مؤرخ هيجونوتي ذكر فيها: " **إن الإنقسام الديني هو عيب كبير على الدولة** " (٧٥)، وقد أذعن الهيجونوت للأمر متأملين أن ينتشر دينهم بشكل أكبر، وسيكونون بذلك الأغلبية في فرنسا (٧٦).

البرلمان الفرنسي:

في مطلع عام ١٥٩٩م، قدم مرسوم نانت إلى البرلمان الباريسي لتتم المصادقة عليه، ولكن الأغلبية في البرلمان عارضت هذا المرسوم، خاصة البند رقم (٢٧) الذي سمح للهيجونوت ممارسة مهن مختلفة، ووظائف حكومية رفيعة، واعتبروا هذا

---

(٧٤) Holt, The French Wars of Religion, 1562-1629,P171-172.

(٧٥) Roland ,The Assassination of Henry IV, P 143.

(٧٦) Ibid, P 144.

المرسوم تهديداً خطيراً للكنيسة والدولة على حد سواء، وفي السابع من شهرشباط من السنة المذكورة، ترأس آشيلي دوهارلي وفدا مكونا من عدد من النبلاء، ليشرحوا وجهة نظرهم للملك شخصيا من المرسوم(٧٧).

وفي ظل معارضة البرلمان لهذا المرسوم، وجد هنري الرابع بأنه لابد أن ينتزع من البرلمان حق المصادقة على المرسوم، ففي يوم الخميس السابع من كانون الثاني ١٥٩٩م، استدعى الملك أعضاء البرلمان للقدوم إلى قصر اللوفر(٧٨). وقد خاطبهم باستخدام مصطلحات رائعة ومختارة بعناية، حيث خاطبهم قائلاً: " إنكم تنظرون إلي الآن وأنا الذي جئت لأتحدث إليكم غير مرتدياً ملابسي الملكية، مثل أسلافي، ولم أرتدي العباءة أو السيف، كما أنني لم آتي بهيئة الأمير الذي يخاطب سفراء أجانب، ولكنني أخاطبكم لأنني أب لعائلة، ويتحدث بكل صراحة لأبنائه، إن ما أريد أن أقوله اليوم هو أنني أطلب منكم التصديق على المرسوم... وإن ما أقوم به اليوم هدفه الأول هو السلام، لقد أمنت السلام في الخارج، وأريد أن أحقق السلام في بلدي في الداخل، أنتم مجبورون أن تطيعوني...، لا تستخدموا الدين الكاثوليكي كسبب

---

(٧٧) Roland ,The Assassination of Henry IV, P 151 ; Weiss, History of the French Protestant,vol1,P30.

(٧٨) قصر اللوفر:يقع على الضفة الشمالية لنهر السين في باريس عاصمة فرنسا، وكان عبارة عن قلعة بناها فيليب أوغوست عام ١٢٠٠م، ولكن الملك تشارلز الخامس عدل من شكل المبنى ليصبح مقراً ريفياً في أوائل القرن الرابع عشر الميلادي، وفي عام ١٤٤٦م قرر فرانسوا الأول تحويل المبنى إلى قصر يضاهي اشهر مباني عصر النهضة في أيطاليا، لتتحول لاحقاً إلى قصر ملكي عرف باسم قصر اللوفرقطنه ملوك فرنسا وكان آخر من اتخذه مقراً رسمياً لويس الرابع عشر الذي غادره إلى قصر فرساي العام ١٦٧٢م ليكون مقر الحكم الجديد تاركا اللوفر ليكون مقراً يحوي مجموعة من التحف الملكية والمنحوتات على وجه الخصوص. وخلال الثورة الفرنسية أعلنت الجمعية الوطنية أن اللوفر ينبغي ان يكون متحفاً قوميا لتعرض فيه روائع الأمة. ليفتتح المتحف في ١٩ آب ١٧٩٣م. وتم تحديث البناء عام ١٩٨٤م وافُتتح للعامة عام ١٩٨٩م.الموسوعة العربية العالمية،م٢١،ص٢٠٤-٢٠٥.

للجدال، فأنا أحب هذا الدين أكثر منكم، وأنا كاثوليكي ملتزم أكثر منكم....، إذا رفضتم المصادقة على المرسوم فإنني سآتي للبرلمان وسيكون نكراناً كبيراً للجميل، ....وآخر ما أقوله الآن...امنحوا لتوسلاتي ما لا يمكن أن تمنحوه لتهديدي، ولكنني لن أهدد الآن، فإنا بكل بساطة آمركم ولا أرجوا منكم، فأنتم ستوافقون ليس من أجلي، وإنما من أجل أنفسكم، ومن أجل عدالة قضية السلام"[٧٩].

وبناءً عليه لم يمتلك أعضاء البرلمان أي بديل سوى إطاعة الملك والموافقة على المرسوم، مقترحين بعض التعديلات التي قبلها الملك، ومنها: أماكن العبادة حيث اشترطوا أن تكون في الأماكن التي أسست مسبقاً للبروتستانت على أساس دائم من ١ أيلول عام ١٥٩٧م، كما أنه يجب الحصول على إذن مسبق من الملك نفسه قبل تنظيم أي تجمع ديني أو خطابي للبروتستانت[٨٠].

وأخيراً أصبح مرسوم نانت قانوناً نافذاً في منطقة باريس في ٢٥ شباط ١٥٩٩م، وتم توقيعه في غرو نوبل في ٢٧ أيلول ١٥٩٩م، وفي ديجون في ١٢ كانون الثاني ١٦٠٠م، وفي ١٩ كانون الثاني في تولوز، وفي آكس(Aix) ، ورين (Rennes) في ١١ و٢٣ آب من عام ١٦٠٠م[٨١]، وعارض برلمان رون (Ronen) على هذا المرسوم إذ كان القضاة في هذا البرلمان اكثر المترددين في تسجيله، وبعد أن أصر الملك تكراراً ومراراً عليهم بضرورة طاعته وعدم عصيانه فقد صادقوا عليه بتاريخ ٥ آب ١٦٠٩م[٨٢].

---

(٧٩) Roland ,The Assassination of Henry IV, P 364-366 ; Weiss, History of the French Protestant,vol1, P30-31;Knecht, The French Wars of Religion,P83.

(٨٠) Roland,The Assassination of Henry IV, P 151; The New Cambridge Modern History ,Vol3,P314.

(٨١) Roland,The Assassination of Henry IV, P 151; Weiss, History of the French Protestant,vol1, P29.

(٨٢) Knecht, The French Wars of Religion,P83; Holt, The French Wars of Religion,1562-1629 ,P171

رابعاً: أهمية مرسوم نانت

تبوأ مرسوم نانت أهمية كبيرة في تاريخ فرنسا، باعتباره أول اعتراف عام بقيام أكثر من طائفة دينية داخل الدولة الواحدة، وجعلت هذه التسوية التسامح الديني جزءا من القانون الدستوري لفرنسا، قبل الاعتراف به في إنجلترا وألمانيا بوقت طويل(٨٣)، وتحولت الحروب الدينية المفتوحة بين الهيجونوت والكاثوليكيين بعد أصدار المرسوم إلى حرب باردة، فالآلاف من القضايا التي رفعت لغرفة المرسوم خلال القرن السابع عشر تشهد على ذلك، أي أن الأطراف المتخالفة لجأت إلى القضاء وإلى المحاكم بدل استخدام العنف.

وكان من العوامل الأساسية التي ساعدت على تقوية نفوذ الملكية في فرنسا، فعندما انتهت الحروب الدينية استطاعت الملكية أن تدعم نظامها في دولة متحدة، على أساس تركيز السلطة في يدها (٨٤)، وعمل الملك على إصلاح أحوال البلاد الاقتصادية والعمرانية، والتي اضطربت سنوات عديدة نتيجة لانغماس البلاد في الفوضى والحروب الدينية (٨٥).

وعندما قويت فرنسا داخليا بعد استقرار الأوضاع الداخلية لإصدارها مرسوم نانت، وضع هنري مشروعاً لمناوأة أسرة الهابسبورج(Habsburg)(٨٦) في أوروبا، وأعد

---

(٨٣) فيشر، أصول التاريخ الأوروبي، ص١٩٦.

(٨٤) محمد شكري:محاضرات في تاريخ أوربا في العصور الحديثة، الجزء الأول"من النهضة الأيطالية حتى الثورة الفرنسية(القاهرة: د.نا،١٩٦٣)، ص ١٩٠.

(٨٥) عبدالرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: معالم التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر، (الدوحة: دار المتنبي للنشر والتوزيع: ١٩٨٢)، ص ١٢٣.

James M Eder: Barron's How To Prepaer For The AP European History Advancd Placement Examination,(New York:: Barron's Educational Series,Inc,2003) ,P65-66.

كريكر، الدررالأوروباوية في تاريخ الأمة الفرانساوية،ص١١٣.

(٨٦) الهابسبورج أو هابيشورج (Habichtspurg) البيت المالك الذي حكم النمسا(١٢٨٢-١٩١٨م)، اشتق اسم هابيسورغ من قلعة هايسبورغ(قلعة الصقر) في سويسرا. الموسوعة العربية الميسرة. (بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠٩)، م٧،ص٣٤٦٧.

لذلك جيشاً قوياً، وبدأ بتنفيذ مشروعه، ولكنه قتل في عام ١٦١٠م [٨٧] تاركاً لخلفائه مهمة أخذ زمام الزعامة لفرنسا في أوروبا [٨٨].

وكان للمرسوم دوراً بارزا في ازدياد قوة الكنيسة الكاثوليكية، حيث أخذت تعمل على إصلاح نفسها بفضل تحدي عقيدة الهيجونوت لها، ووجودها معها جنباً إلى جنب [٨٩]، وازدادت قوة الهيجونوت من خلال الامتيازات التي حصلوا عليها، حتى أن البعض أكد أن مرسوم نانت أوجد دولة هيجونوتية صغيرة داخل الدولة الفرنسية، بجيشها وقلاعها ونظامها الديني والمدني، وصار لهم الحق في عقد مجلس يمثلهم، وينعقد مرة كل ثلاث سنوات، للبحث في شؤونهم ورعاية مصالحهم [٩٠].

ومع ذلك فأن المرسوم لم يضع حدا للحروب الدينية، لانه لم يضع حلولا لسلسلة القضايا التي قادت إلى التوتر، فبعد فترة قصيرة عادت الحروب لتشتعل مرة أخرى في عهد لويس الثالث عشرفي أعوام ١٦٢٢م و ١٦٢٥م و١٦٢٨م، والتي انتهت بمهاجمة حصن مدينة لاورشيل، والتي نتج عنها استسلام الهيجونوت لياتي بعدها سلام، أو مرسوم اليس عام ١٦٢٩م، والذي حرم الهيجونوت من كل الضمانات السياسية، والعسكرية التي ارتبطت بمرسوم نانت.

---

(٨٧) قتل هنري الرابع على يد كاثوليكي متعصب بدعي رافاياك(Ravarallac) بسبب ميله إلى البروستانت، روبرت بالمر: تاريخ العالم الحديث اوروبا من القرون الأولى حتى سنة ١٧٤٠، ترجمة: محمود الأمين، (الموصل: مكتبة الوفاء،١٩٦٤)، ص ١٨.

(٨٨) عبد الرحيم، معالم التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر، ص ١٢٣.

(٨٩) فيشر، أصول التاريخ الأوروبي، ص١٩٦.

(٩٠) عبدالحميد البطريق وعبدالعزيز نوار: التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فينا، (بيروت: دار النهضة،١٩٧١)،ص ١٣٧.

المبحث الثاني: تعديل مرسوم نانت في عام ١٦٢٩م

أولا: تعديل المرسوم

بعد مصرع هنري الرابع، تولى عرش فرنسا إبنه القاصر لويس الثالث عشر، الذي إلتزم بمرسوم نانت ففي ٢٢ أيار ١٦١٠م، أعلنت الوصية على العرش أمه ماري دي ميدتشي [٩١] (Marie de Medici)، باسم الملك بأنهم أقروا سيادة هذا المرسوم الذي أسهم في الحفاظ على هدوء وأمان وسلام رعايا فرنسا، ومن أجل ذلك قيل للملك أن يعلن قائلا: " أنه وعلى الرغم من أن المرسوم دائم، ولا يمكن نقضه، ولا يحتاج إلى أن يتم التأكيد عليه...فإن رعايانا بحاجة إلى التأكيد على حمايتهم، وعلى أن يتم التصريح بأن البنود المذكورة في مرسوم نانت لن تنتهك حرمتها أبداً "[٩٢]

.

ولما بلغ لويس الثالث عشر العمر الذي يتناسب مع إعلانه ملكاً لفرنسا، وذلك في الأول من تشرين الأول عام ١٦١٤م، فقد أعلن في ذلك الحفل بأن كل من سيهدد السلام العام، أو ينتهك الحرمات، سوف يعاقب عقاباً شديداً [٩٣].

أما في العام التالي فقد اقترح الكاثوليك على الملك من أجل حماية الدين الكاثوليكي وفقاً للقسم الملكي الذي أداه بحماية بلاده، خاصة المناطق الواقعة تحت

---

(٩١) ماري دي ميدتشي (١٥٧٣-١٦٤٢م): أميرة إيطالية. أبنة فرانسيسكو مديتشي غراندوق توسكانيا. تزوجها هنري الرابع بعيد طلاقه زوجته مرغريت، عام ١٦٠٠م، فأصبحت بذلك ملكة الفرنسيين. حتى إذا اغتيل زوجها عام ١٦١٠م أعلنها برلمان باريس وصية على عرش ابنها لويس الثالث عشر. منير البعلبكي: معجم أعلام المورد، موسوعة تراجم لأشهر ألعلام العرب والأجانب القدامى والمحدثين مستقاة من " موسوعة المورد"، (بيروت: دار العلم للملايين،١٩٩٢)،ص٤٠٧.

(٩٢) Weiss, History of the French Protestant,vol1, P28.

(٩٣) Ibid .

هيمنته من كل ما تشير إليه الكنيسة بأنه مهرطق[٩٤]، لكن لويس الثالث عشر أعلن في ١٢ آذار ١٦١٥م إعلاناً يعتبر أنه الأعدل في حياته، حيث قال وقتها: " **بأنه يرى أن بنود هذا المرسوم غير قابلة للنقض** " [٩٥].

ثم أصدر إعلاناً آخر في ٢٠ تموز ١٦١٦م، للتأكيد على مرسوم نانت ومحرماً استخدام لفظة الهراطقة [٩٦] لوصف المصلحين، وكان هذا التحريم ضرورياً ليتماشى مع القسم الملكي الذي يدليه ملوك فرنسا في يوم تنصيبهم الذي يلزمهم بتدمير كل الهراطقة [٩٧].

ولكن الهيجونوت بدأوا يشعرون بالخوف من انتقاص الدولة من حقوقهم التي اكتسبوها في مرسوم نانت، بسبب قيام حرب الثلاثين عاماً (١٦١٨ -١٦٤٨م) في المانيا بين الكاثوليك والبروتستانت[٩٨]، واحتدام المناقشات الدينية في فرنسا، والتي

---

(٩٤) يشار إلى حفل التتويج في فرنسا بمصطلح مقدس(Scare) وجرت العادة أن يقام حفل التتويج في الكاتدرائية الرسمية في باريس بحضور الكرادلة ورؤساء الأساقفة والنبلاء ويبدأ الملك فيه خطاباً دينياً يؤكد من خلاله على مسؤوليته الدينية اتجاه الكنيسة وجميع رعاياها، ويدلي بالقسم الذي ينص على الحفاظ على القوانين والامتيازات الكنسية ويتعهد بالدفاع عن جميع الرعايا الخاضعين لحكمه والحفاظ على السلم الأهلي وتأدية العبادات بحرية، والتصدي للهرطقة وللمعارضين للمبادئ الكنيسة الكاثوليكية. نعمة،حركة الإصلاح الديني في فرنسا، ص١٧٨.

(٩٥) Weiss, History of the French Protestant,Vol1, P28.

(٩٦) الهرطقة: التعريف الكاثوليكي للهرطقة هو: رأي ديني مدان كنسياً على أنه مناقض للإيمان الكاثوليكي. أو أيضاً: خطأ إرادي ومتثبت به، متعارض مع مبدأ إيماني موحى به وتَعلمه الكنيسة بصفته هذه.ج. ويلز: الهرطقة في المسيحية،تاريخ البدع الدينية المسيحية، ترجمة: جمال سالم،(بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع،٢٠٠٧)،ص١٧.

(٩٧) Weiss, History of the French Protestant,Vol1,P29.

(٩٨) لمزيد من التفصيل عن حرب الثلاثيين عام ودور فرنسا في هذه الحرب، انظر، عبدالرحيم، معالم التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر، ص ٩٥-١٠٨.

برهنت على أن الشعور الديني لا يزال قوياً، بالرغم من الهدوء الذي ساد البلاد بعد إصدار مرسوم نانت، لذلك قرر الهيجونوت العمل على أن يستقلوا بمدنهم في جنوب فرنسا، فسار إليهم لويس الثالث عشر وحاصرهم في مونبلييه(Montpellier)، ومنتوبان (Montauban)، ولاروشيل(Rochelle) (٩٩)

وقد قاوم الهيجونوت هذا الحصار، واستبسلوا في الدفاع عن كيانهم، إلى أن سقطت مونبلييه، وقبلوا الصلح الذي عرف بصلح مونبلييه في عام ١٦٢٢م، والذي كان من أهم شروطه التأكيد على مرسوم نانت، ومنع المصلحين - أي الهيجونوت - عقد المجالس والاجتماعات السياسية، وعلى أن يتم الاستيلاء على مدنهم الحصينة، ما عدا منتوبان ولاروشيل، مع إزالة حصن (بوابة) لويس الذي بني على أسوار لاروشيل، مع التأكيد على حقوقهم الدينية (١٠٠).

وبعد تعيين لويس الثالث عشر الكاردنيال ريشيليو رئيساً للوزارة (١٦٢٤ - ١٦٤٢م)، أصبح يسعى إلى تحقيق هدفين هما: (١٠١)

الأول: اتحاد عناصر الأمة الفرنسية، وسيادة نفوذ الملك داخل البلاد، وتوطيد سلطانه بالقضاء على كل منافسيه من الأشراف، أو الهيجونوت، أو المجالس الوطنية على السواء.

---

(٩٩) Weiss, History of the French Protestant Vol1, P44 شكري، محاضرات في أوربا في العصور الحديثة،ج١، ص ٢٤٣.

(١٠٠) Holt, The French Wars of Religion,1562-1629,P187; Weiss, History of the French Protestant vol1, P44, Treasure: Richelieu and Mazarin,P15-16,
شكري،محاضرات في أوربا في العصور الحديثة،ج١،ص ٢٤٣؛ بطريق ونوار، التاريخ الأوروبي الحديث،ص١٦٣.

(١٠١) Stephen J. Lee: A Spects Of European History 1494-1789,) London & New York: Melthuen & Co.Ltd,1984) ,P121-122; Barro's How To Prepaer For The AP European History,P66;
عبد الرحيم، معالم التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر، ص ١٢٥

الثاني: العمل على تفوق فرنسا في أوروبا، وذلك بقهر الهابسبورج في ألمانيا، وإسبانيا، وجعل الملكية الفرنسية مطلقة في الداخل، وسيدة ومهابة في الخارج.

وأكد على ذلك في الخطاب الذي ألقاه أمام لويس الثالث عشر بقوله: "عندما شرفتموني جلالتكم بالمشاركة في مجالسكم الاستشارية (يأست) بصدق أن الهيجونوت يشاركونكم في الحكم، وأن النبلاء يسلكون سلوكاً لايدل على أنهم من رعاياكم، ... وأني أعاهد جلالتكم على أن أستغل كل جهودي ونفوذي لتحطيم طائفة الهيجونوت، ولأحط من كبرياء النبلاء، وأن أسوق كل الرعايا نحو تأدية ما عليه من واجبات، وأن استرد لفرنسا صيتها بين الشعوب الأجنبية "[١٠٢].

كانت أول عقبة رأى ريشيليو أن يبدأ بتذليلها هي، مركز الهيجونوت السياسي المستقل داخل الدولة، وعنادهم الصامد ضد المساس بحقوقهم التي اكتسبوها بموجب مرسوم نانت، مما جعلهم عقبة في سبيل تحقيق وحدة المملكة [١٠٣].خاصة أن الهيجونوت لم يلتزموا ببنود صلح مونبلييه، فتم تحصين بوابة لويس التي بنيت على مدى آلاف الخطوات من بوابة لاروشيل، وعادوا إلى تجميع جيشهم آملين أن يستطيعوا استعادة تجمعاتهم السياسية، بالإضافة إلى حصونهم الآمنة، وتنظيماتهم العسكرية، بالإضافة إلى كل الامتيازات التي فقدوها في الصلح، مستغلين الصراع الذي دخلت فيه فرنسا ضد الأسبان[١٠٤]، وفي عام ١٦٢٥م، قاموا بالإستيلاء على

---

(١٠٢) زينب، تاريخ أوروبا الحديث، ص ١٨١.

(١٠٣) Holt, The French Wars of Religion,1562-1629,P198.

بطريق ونوار، التاريخ الأوروبي الحديث،١٦٤؛ زينب، تاريخ أوروبا الحديث، ص ١٨١.

(١٠٤) Weiss, History of the French Protestant Vol1, P45; Holt, The French Wars of Religion,1562-1629,P187.

سفن كان ريشيليو قد أعدها لتكون نواة للأسطول الفرنسي، وحصلوا على سفن أخرى من هولندا، وإنجلترا، إلا أن ريشيليو تمكن من الإنتصار عليهم[١٠٥].

ونيجة لذلك بدأ ريشيليو يحث الملك على ضرورة التخلص من الهيجونوت ونفوذهم في فرنسا، ففي مطلع شهر أيار ١٦٢٥م، كتب مذكرة طويلةً إلى الملك ذكر فيها: " أما بالنسبة للهيجونوت فلقد اعتادوا أن يقدموا مصالحهم فوق مصالح الدولة، وحاولوا استغلال الفرصة عندما كنا نحن منشغلين في حربنا ضد أعدائنا المعلنين، ... طالما أن الهيجونوت يملكون موط ء قدم لأنفسهم في فرنسا فإن الملك لا يمكن أن يصبح سيداً في البيت، ولن يتمكن من اتخاذ إجراءات عظيمة في الخارج "[١٠٦].

وتكررت هذه النصيحة مرة أخرى بشكل أقوى في مذكرات لاحقة خلال العام اللاحق قائلا فيها: " من المؤكد أنه لطالما أن حزب الهيجونوت بقي في فرنسا فإن الملك لن يتمتع بالقوة المطلقة، ولن يكون قادراً على تأسيس النظام، ... من الضروري أيضاً تدمير كبرياء النبلاء العظماء الذين اعتبروا لاروشيل قلعة يستظلون بظلها، ويمارسون منها المقاومة..."[١٠٧].

كل هذا أدى لتكوين شعور قوي لدى الملك بضرورة استئصال الهيجونوت، والقضاء على نفوذهم السياسي في فرنسا، فدعا الملك إلى إبادة كل من يتبع الدين أو الحزب الإصلاحي[١٠٨]فأمر ريشيليو قواته بمهاجمة حصن مدينة لاورشيل التي كانت منذ عام ١٥٦٨م، مدينة مستقلة ذات سيادة جمهورية، واستعد الهيجونوت للدفاع

---

(١٠٥) بطريق ونوار، التاريخ الأوروبي الحديث،ص١٦٤.

(١٠٦) Holt, The French Wars of Religion,1562-1629,P189.

(١٠٧) Ibid,P189-190.

(١٠٨) Weiss, History of the French Protestant ,vol1, P46.

عن مدينتهم بمساعدة إنجلتر[١٠٩]، وقاوموا ببسالة شديدة، لكن المدينة في نهاية الأمر استسلمت في ٢٨ تشرين الأول ١٦٢٨م، بعد حصار دام (١٣) شهراً من المجاعة والمرض مات نصف سكانها جوعاً[١١٠]، وقد كلف هذا الحصار الملك (٤٠) مليونا ليرة، إلا أن ريشيليو لم يعتقد أن هذا النصر وإن كان بهذه التكلفة رخيصا [١١١]، وفي ٣٠تشرين الأول ١٦٢٨م دخل ريشيليو مدينة لاروشيل ممتطياً جواده، ومن خلفه الجنود يوزعون الخبز رحمة بالناس [١١٢]، وبعد (٤) أيام جاء لويس الثالث عشر برفقة الكاردينال ريشيليو والجيش الملكي إلى المدينة، فوصف أحد الكتاب المعاصرين هذه الزيارة قائلاً : "**لقد اكتشفوا مدينة أشباح، وليس مدينة شعب أو ناس**"[١١٣]. واستطاع ريشيليو في العام التالي أن يكلل جهوده ضد الهيجونوت بعقد صلح معهم، عرف بصلح اليس في عام ١٦٢٩م، هدف منه إنتزاع الاستقلال الذي كانوا يتمتعون به من قبل.

---

(١٠٩) Holt, The French Wars of Religion,1562-1629,P190-191.

(١١٠) ومع سقوط لاروشيل ١٦٢٨م بدأ شاعر الهيجونوت ثيودور اجريبا دو اباجين (Théodore-Agrippa dAubigné) (١٥٥٢ – ١٦٣٠م) متخوفاً من أن العصر الجديد سيكون مروعاً وعبر عن ذلك بشعره قائلاً :" إن العواصف التي تعصف فوق أدمغتنا وأن الخلجان المفتوحة واحد تلو الآخر كلها مصائب ربانية بدأت تغمرنا..."

C. Scott Dixon: Protestants A History from Wittenberg to Pensylvania 1517 – 1740,(United Kingdom: Wiley-Blackwell,2010) ,P132.

(١١١) Weiss, History of the French Protestant ,vol1 P47; Victor-L Tapie: France in The Age of Louis XIII and Richelieu, Translated and Edited by: D. Mcn. Lockie, With a New Foreword and Bibliography by: R. J. Knecht (New York: Cambridge University Press,1984) ,P199-200.

(١١٢) المقرحي، تاريخ أوروبا الحديث،ص١٨٧.

(١١٣) Holt, The French Wars of Religion,1562-1629,P190.

ثانيا: نص مرسوم اليس "عهد أمان مدينة اليس" عام ١٦٢٩م:

تكون هذا المرسوم من (٢١) بنداً وتمهيد، وفي التمهيد اوضح أن هذا المرسوم تم إصداره بعد عملية الإستسلام التي أظهرها (المتمردون) بإرسالهم نواباً عنهم، تعبيراً منهم عن ندمهم، وعلى استعدادهم الصادق للدخول في طاعة الملك، والولاء له امام الجميع، وعزمهم على إلقاء السلاح واداء قسم الوفاء امام مندوبين ساميين يعينهم جلالة الملك. كما تُبت فيه شروط الأمان (العفو الملكي) وهي(١١٤):

١ - تسليم السلاح.

٢ - قَسمُ الوفاء للملك.

٣ - تدمير التحصينات الهيجونوتية.

وقد منح الهيجونوت بعض الحقوق والحريات بموجب المرسوم ركزت على الحفاظ على أرواحهم، وممتلكاتهم، ومنحهم حرية العبادة، ففي (البند١): عفا الملك عن الدوق دي روهان (Duc de Rohan)، والسيور دي سوبيز(Sieur Soubize de)، وإبراء ذممهم من: كل الأعمال القتالية، وحمل السلاح وإثارة الإضطرابات(١١٥). كما منح الهيجونوت حرية ممارسة العبادة في مدنهم، والتمتع بالحقوق التي نصت عليها التشريعات الأخرى، ولا سيما تشريع مدينة نانت (البند٢). وإعادة كل كنائسهم ومقابرهم التي تمت مصادرتها أو تدميرها (البند٣)، كما تم أعفهم من دفع أجور مساكن الجنود، وأيضاً من دفع الضرائب التي أعفى منها الكاثوليك – بأمر من حكام المقاطعات أو غيرهم من قواد الجيش الكاثوليكي (البندين ٤و٦)(١١٦).

---

(١١٤) Exposition " La Paix d´Alais OU Edit de Gráoe de1629" Aux Archives Municipales D´Ales 4'Boulevard Gambetta 1er Mars-02 Avril2010,P26.

(١١٥) Ibid,P26-27.

(١١٦) Ibid,P27-28.

كما سمح الملك للهيجونوت في(البند٧) أن يسترجعوا جميع ممتلكاتهم المنقولة وغير المنقولة، مهما تكن الأحكام الصادرة في شأنها، وأن يعودوا إلى مساكنهم وأن يُعيدوا إعمارها إذا إقتضى الأمر ذلك، مع إمكانية إقامتهم في كل مدن المملكة باستثناء بعض المناطق (البند٨) [١١٧]، أما في (البند١٨) فقد منح الملك سكان مدينة باميه (Pamiers) الذين لم يكونوا فيها أثناء إحتلالها من قبل القوات الملكية، أن يعودوا إليها وأن يستعيدوا ممتلكاتهم فيها بعد إعلان الطاعة والولاء له[١١٨].

وتحقيقا لهدف ريشيليو في القضاء على نفوذ الهيجونوت السياسي، وحرمانهم من إعادة تأسيس مجتمعات بروتستانتية كبيرة قادرة على مناوئة السلطة في فرنسا، فقد منع الهيجونوت بموجب (البند ٨)، من العودة إلى جزر دي ري (Les de Re)، ومدينتي لا روشيل، وبريفا (Privas)، والأقامة فيهما[١١٩]، كما أمر في (البند١٩) من المرسوم أن تدمر كل حصونهم وقلاعهم العسكرية التي سمح لهم مرسوم نانت بامتلاكها في مدة لا تتجاوز(٣) أشهر[١٢٠].

وفي المقابل منح الكاثوليك العديد من الحقوق في هذا المرسوم، وهي امتدادا لمرسوم نانت، ففي (البند ٢١)منحوا الحرية الكاملة لتأدية عباداتهم في كل المدن وفي كل الأماكن وحتى التي كانت في السابق مخصوصة لليهجونوت[١٢١]، وأن تعود إليهم كل الكنائس والممتلكات والمنازل الكنسية التي سيطر عليها الهيجونوت (البند٣) [١٢٢].

---

(١١٧) Ibid,P28.

(١١٨) Ibid,P30.

(١١٩) Ibid,P28.

(١٢٠) Ibid,P30.

(١٢١) Ibid,P31.

(١٢٢) Ibid,P27-28.

أرسى هذا المرسوم السلام بين الكاثوليك والهيجونوت في فرنسا بعد إستسلام لاروشيل في عام ١٦٢٨م، والذي أكد على خسارة الهيجونوت لكل أماكن تحصنهم وقراهم وحقوقهم العسكرية التي كانت مضمونة لهم وقت العمل بمرسوم نانت عام ١٥٩٨م، كما أكد المرسوم أيضا على وجودهم كمجتمع ديني منفصل ضمن القومية الفرنسية، وتم تعريفه لاحقاً وتشبيهه على أنه " **جزيرة هرطقة داخل البحر الكاثوليكي الكبير** " (١٢٣).

وكان المرسوم أيضا بالنسبة للهيجونوت إعلاناً لعصر جديد، فقد تم استثناؤهم بشكل تدريجي من العمل في المحاكم، ومن دخول المكاتب المدنية، ليجدوا أنفسهم قد تقلصوا إلى مدينة يسيطر عليها البطالة والكسل، وهنا اضطروا أن يلزموا أنفسهم في مجالات الزراعة، والتجارة، والحرف والصناعة، ليتحرروا بسرعة من القيود التي فرضت عليهم (١٢٤).

وفي شهر تموز قبل مغادرة ريشيليو منتوبان أخر معاقل الهيجونوت، أرسل إعلان الانتصار إلى لويس الثالث عشر قائلاً فيه: " **يمكننا أن نقول الآن بصراحة بأن أنهار الهرطقة والثورة قد جفت... وكل شيء الآن خاضع لك** "، وهكذا اعتقد ريشيليو بأنه ختم صراعاً استمر لعدة سنوات، والنتيجة أن الهيجونوت قد تم تدميرهم كقوة سياسية، وأن استعمال الهيجونوت للقوة سيبدو الآن عقيماً، ويعد مثالا واضحا على الانتحار الجماعي، إذا ما أرادوا مواجهة الكاثوليكية الملكية التي أصبحت قوية (١٢٥).

---

(١٢٣) Nolan ,The Age of Wars of Religion Vol.1, P235-236 ; Tapie, France in The Age of Louis XIII and Richelieu,P200.

(١٢٤) Weiss, History of the French Protestant ,vol1 P49-50.

(١٢٥) Tapie, France in The Age of Louis XIII and Richelieu,P201-202.

ومع ذلك فقد أسهم هذا المرسوم في زيادة أتباع الهيجونوتية في فرنسا، من خلال منحهم الحرية الدينية، وكذلك حرية إنشاء الكنائس، كما أسهم في سيطرة الهيجونوت على أغلب الاقتصاد الفرنسي، من خلال عملهم في الصناعة، والتجارة، والزراعة، وخدم العديد منهم في الدولة، في الجيش، والبحرية، وتقلد جزء منهم مناصب أكاديمية، وفكرية، وكان ذلك سبباً في أن يواجهوا بحركة عدائية من قبل الكاثوليك توجت بإلغاء مرسوم نانت.

المبحث الثالث: إلغاء مرسوم نانت

اولاً:دوافع إلغاء المرسوم

إن إلغاء مرسوم نانت الذي حافظ على نوع من التعايش بين ديانتين في فرنسا إلى نحو ما يقارب القرن بإصدار مرسوم فونتينبلو (Fontainebleau) في عام ١٦٨٥م، أثار العديد من التساؤلات، خاصة أن الهيجونوت في عهد لويس الثالث عشر لم يعودوا يمثلوا خطراً سياسياً، ولم يتملكوا استحكامات ولا جيوشاً، وقد خدم العديد منهم الدولة في الجيش، والبحرية، وكسبوا لأنفسهم مكانة سامية في عالم المال والتجارة والصناعة، وتقلد جزء منهم مناصب أكاديمية، وفكرية ايضا[١٢٦]، وكانوا مخلصين للملكية في فرنسا، وقد أظهروا ذلك في ثورة الفروند[١٢٧]، حيث سارعوا إلى تقديم المعونات المالية إلى الملكية في ذلك الوقت، وقد اعترف الكاردينال

(١٢٦) David Garrioch: The Huguenots of Paris and the Coming of Religious Freedom,1685-1789,(U.S.A: Cambridge University Press,2014) ,P25.

(١٢٧) ثورة الفروند: وهي حرب أهلية وقعت في فرنسا أثناء حداثة الملك لويس الرابع عشر بين عام (١٦٤٨-١٦٥٢م) وكانت السلطة يومئذ لأمة آن النمساوية ووزيرها الكاردينال مازاران. ضد الملكية في فرنسا وكان من أسبابها مطالبة أعضاء برلمان باريس والنبلاء بالإصلاحات الدستورية. زينب، تاريخ أوروبا الحديث،ص١٨٩-١٩٢؛Barro's How To Prepaer For The AP European History,P66

مـازاران[١٢٨] (Mazarin) بمـوقفهم المشـرف[١٢٩]، كمـا أعـرب لـويس الرابـع عشـر (Lois XIIII) عن تقديره لدور الهيجونوت في ثورة الفروند، وعن ولائهم للدولة[١٣٠].

لكن الهيجونوت وجهوا بحركة عدائية من جانب رجال الكنيسة الكاثوليكية الذين عارضوا التسامح الديني الذي كفله مرسوم نانت، وحرصوا على إعادة عدد كبير من رجال الدين الهيجونوت إلى العقيدة الكاثوليكية، كما اعترضوا على انتهازهم فرصة انتشار الفوضى في فرنسا منذ عام ١٥٩٨م، لتفسير مرسوم نانت تفسيراً جعلهم يضاعفون من إنشاء معابد لممارسة ديانتهم خارج الأماكن التي اتفق عليها[١٣١]، لذلك طالب المجمع في عام ١٦٦٠م، من الملك أن يغلق جميع الكليات، والمستشفيات الهيجونوتية، وأن يحرم الهيجونوت من الوظائف العامة[١٣٢].

وقد أقر وزراء منهم لوتيلييه (le Tellier) (١٦٠٣ -١٦٨٥م) شكاوى رجال الدين الكاثوليك أمام لويس الرابع عشر، حتى أنه قال: "**أنهم أصبحوا يكونون دولة**

---

(١٢٨) مازاران(١٦٤٣-١٦٦١م): كردينال فرنسي، إيطالي المولد، كبير وزراء لويس الرابع عشر. حارب النبلاء الثائرين على العرش معززاً بذلك سلطة الدولة،وأنقذ الدولة من أعدائها الخارجين جاعلاً من فرنسا أقوى دولة في القارة الأوروبية. البعلبكي، معجم أعلام المورد، ص٤٠٨.

(١٢٩) عبدالرحيم، معالم التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر، ص ١٢٦.

(١٣٠) ول وايريل ديورانت: قصة الحضارة، عصر لويس الرابع عشر تاريخ الحضارة الأوروبية في عصر بسكال ومولبير وكرومول وملتن وبطرس الأكبر ونيوتن وسبينوزا(١٦٤٨-١٧١٥م)، ترجمة: فؤاد أندراوس ومراجعة: علي أدهم، (بيروت: دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، د.ت) ج١، م٨،ص١١١؛ فيشر،أصول التاريخ الأوروبي، ص٣١٣-٣١٤.

(١٣١) James Harvey Robinson: Readings in European History, A collection of extracts from the sources chosen with the purpose of illustrating the progress of culture in Western Europe since the GermanInvasions,(Delih:facsimile-Publisher2016)، Vol 2,P287.

(١٣٢) ول وايريل ديورانت، قصة الحضارة، عصر لويس الرابع عشر ج١، م٨،ص١١٢؛ Garrioch, The Huguenots of Paris,P26.

داخل دولة" [١٣٣]، بل انه كتب إلى الملك رسالة وهو يحتضر، يطالبه فيها بإلحاح إلغاء المرسوم، حتى تستطيع روحه الإستقرار والطمأنينة [١٣٤]، وأغراه أيضا بعض الناصحين من بطانته بالمجد الذي ينتظره، إذا نفذ ذلك الإلغاء، ويكون بذلك الملك الوحيد الذي نجح في ذلك، بعد فشل هنري الرابع، ولويس الثالث عشر في القضاء على التفرقة والشقاق الديني في فرنسا [١٣٥].

وأسهم ماركيز لوفويز[١٣٦] (Louvois) أحد مستشاري لويس الرابع عشر بشكل كبير في دمار الدين الإصلاحي في فرنسا، حيث كان من أكثر الناس ترويجاً لفكرة إلغاء مرسوم نانت، ليس هذا فحسب بل هو من دعا إلى إلغاء المرسوم [١٣٧].

وشكلت رغبة لويس الرابع عشر الشخصية في تحقيق وحدة فرنسا الدينية، كما تحققت وحدتها السياسية، في تغيير موقفه من الهيجونوت، فذكر في مذكراته ان الهيجونوت يقفون كعائق في تحقيق وحدة فرنسا الدينية " **أما عن ذلك العدد الكبير**

---

(١٣٣) Sir James Stephen, K.C.B., LTD: Lectures of the History of France,(New York: Harper & Brothers, Publishers.Frankin Square,1855) ,P641.

(١٣٤) الصباغ، معالم تاريخ أوروبا،ص ٣٢٩.

(١٣٥) Robinson, Readings in European History, Vol,2,P287; Dixon, Protestants A History from Wittenberg to Pensylvania,P133.

(١٣٦) لوفويز، فراسسوا مشيل لوتلييه الماركزي دى:(١٦٤١-١٦٩١م): وزير الحربية في عهد لويس الرابع عشر، أدخل نظاماً عسكرياً جدياً، وجعل الجيش الفرنسي أقوى جيوش أوروبا، ازداد نفوذه بعد موت كولبير عام ١٦٨٣م، وكان مسؤولا عن تنفيذ إلغاء مرسوم نانت عام ١٦٨٥م. الموسوعة العربية الميسرة، م٧، ص٢٩٠٠.

(١٣٧) Henry M Baird: The Huguenots and The Revocation of the Edict of Nantes(New York; Charles Scribners Sons,1895) Vol2,P13.

من رعاياي الذين يدينون بما يسمونه المذهب الإصلاحي، هو شر...انظر إليه بحزن..."[١٣٨].

هذا علاوة على خوفه من الهيجونوت، وخاصة بعد نجاح البروتستانت في إنكلترا عام ١٦٤٩م، بعد الحرب الأهلية [١٣٩]، من إعدام الملك تشارلز الأول[١٤٠](Charles I)، ليعود إلى ذهن الملكية الفرنسية والكاثوليك، على اعتبار أن الهيجونوت حركة سياسية تخريبية [١٤١].

وأسهم اليسوعيون[١٤٢] أيضاً في تحريض الملك على الهيجونوت من خلال نفوذهم في البلاط، وقد علق الباحث سكاليجر (Scaliger) على دورهم بقوله: " كان

---

(١٣٨) ديورانت، قصة الحضارة، عصر لويس الرابع عشر،ج١، م٨،ص١١١.

(١٣٩) الحرب الأهلية: هي سلسلة من الصراعات المسلحة والسياسية التي وقعت بين البرلمانيين والملكيين بين عامي(١٦٤٢ -١٦٥١م). انتهت الحرب بهزيمة الملكيين في معركة ووستر(Worcester) في الثالث من أيلول ١٦٥١م.أدت الحرب إلى محاكمة وإعدام تشارلز الأول .عبدالرحيم، معالم التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر، ص١١٢-١١٥.

(١٤٠) تشارلز الأول(١٦٠٠-١٦٤٩م) ملك إنكلتر وأسكتلندا وإيرلندا(١٦٢٥-١٦٤٩م) نشب صراع شديد بينهُ وبين البرلمان. حاول أن يفرض الضرائب من دون موافقة ممثلي الشعب ثم اضطرته مصاعبة المالية إلى توقيع عريضه الحق وفي آواخر عهده نشبت الحرب الأهلية بين الملكيين والبرلمانيين، وفيها مُني الملكيون بهزائم متلاحقة، فاضطر تشارلز الأول إلى الاستسلام ومن ثم أعدم بتهمة الخيانة العظمى. البعلبكي، معجم أعلام المورد،ص١٤٠.

(١٤١) Garrioch, The Huguenots of Paris,P25.

(١٤٢) السيوعيون: جماعة أنشأها أنياس دي ليولا (Ignace de loyala) (١٤٩١-١٥٥٦م) ضابط أسباني التحق في مطلع شبابه بجيوش اراغون، وأثناء مرضه انكب على قراءة الكتاب المقدس بعد أن شفى من مرضه أعلن عن طاعته للكنيسة، وأسس وهو ورفاقه عام ١٥٤٠ جماعة الآباء اليسوعيين (الجينرويت) والتي نادت بطاعة الكنيسة ونبذ الثروة والعيش في الفقر والعفة وقد انتشر اليسوعيون في فرنسا والمانيا وإسبانيا والنمسا وعملوا بحماس للتصدي للبروتستانتية. عبد الرحيم، معالم التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر، ص ٩١-٩٢.

هنري الرابع سمح النفس في المسائل الدينية، وقد ورث كاترين مديتشي في خطة التسامح ؛ ولكنه استدعى اليسوعيين الذين قُدر لنفوذهم في البلاط، ولتأثيرهم في التعليم الفرنسي، وهو -التأثير المطبوع بروح التعصب -أن يؤديا إلى طرد الهيجونوت، ونقض مرسوم نانت الذي كان أعظم ما قام به هنري"[١٤٣].

وبعد أن بلغ لويس الرابع عشر قمة مجده السياسي والحربي في الخارج، وجه جهده في الداخل إلى انتزاع السلطة الدينية من يد البابا إنوسنت الحادي عشر[١٤٤] (Innocent XI) في فرنسا، لذلك دعا إلى عقد مجمع ديني في عام ١٦٨٢م، وأصدر هذا المجمع قرارا أقر به سيادة الملك العليا في الكنيسة والدولة [١٤٥] ، وكان هذا القرار انتصاراً عظيماً للملك، إذ أظهر اتحاد رجال الدين في فرنسا مع ملكهم لأقصاء سيطرة البابوية كقوة أجنبية [١٤٦].وأعتقد لويس أن بإلغائه مرسوم نانت يحول دون تدخل البابا في الحريات التي حصلت عليه كنيسة فرنسا، كالاستقلال في بعض الأمور عن كنيسة روما، فلا تتدخل بحجة حماية الهيجونوت [١٤٧].

---

(١٤٣) فيشر، أصول التاريخ الأوروبي، ص ١٩٦-١٩٧.

(١٤٤) البابا إنوسنت الحادي عشر:(١٦١١-١٦٨٩م) بابا رومة(١٦٧٦-١٦٨٩م) يعتبر أبرز الباباوات في القرن السابع عشر. عرف بنزاهته في زمن غلب فيه الفساد على سير الباباوات. نشب صراع عنيف بينه وبين لويس الرابع عشر ملك فرنسا، حول حق تعيين الأساقفة. البعلبكي، معجم أعلام المورد، ص٨٤.

(١٤٥) شكري، محاضرات في أوربا في العصور الحديثة،ج١، ص٢٥٢ Lee: Aspects of European History,P132-133.

(١٤٦) شكري،محاضرات في أوربا في العصور الحديثة،ج١، ص٢٥٢.

(١٤٧) زينب، تاريخ أوروبا الحديث، ص ٢١١.

وأسهم زواج لويس في بداية عام ١٦٨٤م، من مدام دي مانتنون[١٤٨] (Madame de Maintenon)، في إلغاء مرسوم نانت، حيث ذهب البعض أنه كان لها دور قيادي في إلغاء مرسوم نانت وحول توقيته، وفي الاضطهاد المستمر للهيجونوت تحريضاً وتحميساً منها، فمصير الهيجونوت كان سراً يحمله ثلاثة أشخاص، وهم: بيري دي لاتشيس (Pére de La Chaise)، (١٦٢٤ -١٧٠٩م) كاهن اعتراف الملك، ولوفويز وزير الحرب، ومدام دي مانتنون، وكل الرسائل التي كتبت في ذلك الوقت أشارت إلى مشاركتها في تلك الأحداث، ففي رسالة كتبت قبل أربع سنوات من إلغاء المرسوم في ٢٤ آب ١٦٨١م، جاء فيها " إن الملك يفكر بشكل جدي في الخلاص هو وشعبه فإذا احتفظ الرب بحياته، فسوف يكون هناك دين واحد في هذه المملكة "، وفي رسالة أخرى كتبت بعد إصدار مرسوم الإلغاء قائلة فيها " إن الملك يشعر بسعادة بالغة لأنه وضع لمساته الأخيرة على العمل العظيم لإعادة اتحاد المهرطقة مع الكنيسة، ..."[١٤٩].

(١٤٨) مدام دي مانتنون: صديقة الملك الحميمة، جعلها مربية لاطفاله الغير شرعين، وأصبحت فما بعد الوصية على أبنائه، منحها لويس الرابع عشر لقبا من القاب الطبقة النبيلة، تزوجها عام ١٦٨٤م سراً ولم يعترف بالزواج بشكل رسمي، كان عمرها عندما تزوجها لويس قرابة(٥٠) عاماً وهو (٤٦) عاماً، وكانت مسيطرة عليه لفترة حتى وفاته.

Baird, The Huguenots The Revocation of the Edict of Nantes,Vol2,P17-19.

(١٤٩) Beik ,Louis XIV and Absolutism ,P197; Baird, The Huguenots The Revocation of the Edict of Nantes, Vol2,P20-21.

ثانياً: الإجراءات التي اتخذها الملك ضد الهيجونوت قبل إلغاء مرسوم نانت

في البداية أعلن لويس الرابع عشر عن عدم موافقته على الإجراءات القاسية والعنيفة التي تحاول إعادة دمج الهيجونوت في المجتمع، حيث قال: " يبدو لي أن هؤلاء الذين يريدون تطبيق إجراءات عنيفة ومتشددة لم يفهموا طبيعة هذا الشر..."(١٥٠).

ولكن لويس الرابع عشر وقع تحت تأثير رجال الدين الكاثوليك واليسوعيين، فبعد عام ١٦٦١م، أصبح ظاهراً بأن السياسية الملكية أخذت شكلاً أكثر عدائية تجاه الهيجونوت، فصدرت قرارات من مجلس الملك اتجهت إلى إلغاء مرسوم نانت، ففي عام ١٦٦١م، حرم على الهيجونوت العبادة في معظم مقاطعة جكس(Jeux)، بحجة أنها ضمت إلى فرنسا بعد صدور المرسوم، على الرغم أنه كان يعيش في هذا الإقليم(١٧) ألف هيجوناتي، و(٤٠٠) كاثوليكي فقط (١٥١).

وحدد أماكن العبادة لاتباع الدين الإصلاحي ووقتها، فأجبروا على إجراء مراسيم الجنائز في الصباح الباكر أو في المساء، وتم وضع مقابرهم في أماكن خارج حدود المدينة على شكل منفى، كما تم تحديد عدد الأشخاص الذين سيحضرون الجنائز أو أي احتفال ديني، فمثلاً: صدر مرسوم عام ١٦٧٠م، يقلل عدد الحضور في حفلات زواج الهيجونوت، أو في مراسيم التعميد إلى (١٢) فردا(١٥٢).

وبعد عام ١٦٦٤م تم فرض تعليمات محددة على مدارس الهيجونوت، وما يتم التدريس فيها، ففي عام١٦٧١م، تم تقليص عدد المدرسين لمدرس واحد فقط، ولم

---

(١٥٠) John C. Rule (Edited): Louis XIV and the Craft of kingship (Columbus, OH:Ohio State University University Press,1969) ,P242.

(١٥١) ول وايريل ديورانت، قصة الحضارة، عصر لويس الرابع عشر ج١، م٨،ص١١٢.

(١٥٢) Garrioch, The Huguenots of Paris,P25; زينب، تاريخ أوروبا الحديث، ص ١٨٧

يكن مسموحا لوجود أكثر من مدرسة واحدة محلية في كل منطقة، بغض النظر عن عدد السكان الموجودين فيها [١٥٣].

وفي عام ١٦٨٠م، تم تجريم أي كاثوليكي يتحول إلى الهيجونوتية. [١٥٤].ومن جانب آخر تم منح الهيجونوت الذين يتحولون إلى الكاثوليكية امتيازات وصلت إلى حد إعفائهم من الضرائب وإسقاط الديون عنهم [١٥٥]، وحاول لويس الرابع عشر أن يجبر الهيجونوت على اعتناق الكاثوليكية بالقوة، فأرسل في عام١٦٧٩م، فرق الدراجون (Dragoons) المعروفة بالقسوة، لتلك الغاية [١٥٦]، وقد وصف أحد الأشخاص الذين عاصروا الأحداث وحشية فرقة الدراجون، قائلا: "ولم يكن هناك رحمة للأطفال ولا للشباب البالغين، حيث كانوا يضربونهم بالبنادق...، لقد تعاملوا أيضاً مع النساء بشكل بربري، فلقد شوهوا النساء، وجرو النساء من شعورهن عبر الوحل والحجارة، وقاموا أيضاً بحصار العمال في أماكن عملهم، خاصة إذا كانوا في الحقول ومن ثم قاموا بجرهم إلى الكنائس الكاثوليكية ووخزوهم طوال الطريق على أنهم ثيران حتى يمشوا بطريقة أسرع..." [١٥٧].

---

(١٥٣) Stephen, Lectures of the History of France,P639.

(١٥٤) Garrioch, The Huguenots of Paris,P26; The Revocation of the Edict of Nantes and its Consequences of the Protestant Churches of France and Italy Containing Memories Of some of the Sufferers in the Persecution Attending the Event (Philadelphia: Presbyterian Board of Publication, William S. Martien Publishing Agent,1839) ,P9.

(١٥٥) Garrioch, The Huguenots of Paris,P26

(١٥٦) Stephen, Lectures of the History of France,P641-642; John C. Rule (Edited): Louis XIV And the craft of kingship,P242.

(١٥٧) Rebekah Susannah Ahrendt:A Second Refuge French Opera and the Huguenot Migration c. 1680 – c. 1710,A dissertation Submitted in Partial Satisfaction of the Requirements for the Degreeof Doctor of Philosophy in Music in the Graduate Division of the University of California, Berkeley,2011,P13.

وتم فرض قيود على قادة الكنسية الإصلاحية والكثير من القوانين التي حدت من ممارسة صلاحياتهم، فمثلاً: خلال الستينيات والسبعينيات من القرن السابع عشر ظهرت مراسيم تحرم عليهم التبشير خارج الأماكن التي يقطنون فيها (١٥٨).

أما النبلاء الهيجونوت فقد حصلوا على معاملة أخرى، فعدد كبير منهم قد ارتد قبل تولي لويس الرابع عشر الحكم، أما الذين أصروا على الهيجونوتية، فقد واجهوا عدم رضا الملك، فبعضهم تم إجباره عن طريق الأمر المباشر إلى الردة أو النفي الاختياري، إلى دول هم يختارونها خارج المملكة، وبالنسبة لضباط الجيش وضباط البحرية فقد حرموا من الترقيات، وأبرز مثال على ذلك، القائد إبراهيم دوكين(Abraham Duquesne) (١٦١٠ -١٦٨٨م)، الذي حقق لفرنسا انتصارات عديدة في المعارك البحرية (١٥٩).

وتم استبعاد الكثير من الهيجونوت من المراكز ذات التأثير في الدولة، سواء الإدارية أو القانونية أو الطبية وحتى العلمية، فمثلاً: تم في العام ١٦٧٩م، تم استبعاد جاك داجـــــــــــــــار (Jacquse d'agar) (١٦٤٠ -١٧١٦م) من الأكاديمية الملكية (١٦٠) الفرنسية (١٦١)، حتى الضباط الملتحقين بالسلطات القضائية الملكية تم

---

(١٥٨) Garrioch, The Huguenots of Paris,P26.

(١٥٩) Ibid,P27.

(١٦٠) الأكاديمية الملكية الفرنسية: أعلى هيئة رسمية للآداب والعلوم بفرنسا وهي جزء من معهد فرنسا لرعاية العلوم والآداب، أنشأها مجموعة من الأدباء الذين كانوا يجتمعون بصفة غير رسمية لمناقشة نظريات الأدب والنقد أيدها الكاردينال ريشيليو عام ١٦٣٥م واعترفت بها الدولة رسمياً بقرار برلمان عام ١٦٣٧م. هدفها المحافظة على تراث الأدب الفرنسي ورعايته والإهتمام بالنحو والكتابة وفنون القول. الموسوعة العربية الميسرة،م١،ص٣٥٤.

(١٦١) Garrioch, The Huguenots of Paris,P27; The Revocation of the Edict of Nantes,P52.

إجبارهم على ترك وظائفهم، وأكبر مثال على هذا الاضطهاد: نيكولا ليميري (Nicolas Lémery) (١٦٤٥ -١٧١٥م) [١٦٢].

وتم منع الهيجونوت من ممارسة أي وظائف قانونية مثل كتاب العدل، أو المأمورين القضائيين بعد عام ١٦٨١م [١٦٣].وفي نيسان من عام ١٦٨٤م، وتبعاً لنصيحة لوفويز أصدر الملك قرارا بإعفاء كل المتحولين في الديانة من مهامهم العسكرية لمدة سنتين [١٦٤].

وهنا يتوقف الباحث عند الأسباب التي منعت لويس الرابع عشر من سرعة إلغاء مرسوم نانت، وإصدار المراسيم والأوامر والقرارات الملكية من عام ١٦٦١ - ١٦٨٥م، ضد الهيجونوت ولعل من أبرز هذه الأسباب ما يلي: [١٦٥]

١ - خوف فيرساي من أن اضطهاد الهيجونوت سيثير حرباً أجنبية.

٢ - خوف لويس من استثارة تشارلز الثاني[١٦٦](Charles II) في إنجلترا، الذي سيظهر تعاطفه مع الهيجونوت.

٣ - الخوف من الخسائر في الأموال والأرواح التي ستظهر مع إعلان المرسوم.

---

(١٦٢) Garrioch, The Huguenots of Paris,P27.

(١٦٣) Stephen, Lectures of the History of France,P640; Lee, Aspects of European History(1494-1789) ,P132.

(١٦٤) Ibid,P641.

(١٦٥) Baird, The Huguenots The Revocation of the Edict of Nantes, Vol2,P9.

(١٦٦) تشارلز الثاني(١٦٣٠-١٦٨٥م) ملك إنكلترا وأسكتلندا وإيرلندا(١٦٦٠-١٦٨٥م) ابن تشارلز الأول، نادى به الاسكتلنديون ملكاً، بعيد إعدام أبيه، ثم سار من أسكتلندا لغزو إنكلترا، ولكن أوليفر كروميل (Cromwell) هزمه في معركة ووستر عام ١٦٥١م، فلجأ إلى فرنسا. أقام في المنفى حتى عام ١٦٦٠م عندما وفق لإلى استرداد العرش البريطاني. البعلبكي، معجم أعلام المورد،،ص١٤٠.

٤ - إضعاف الهيجونوت والحد من نفوذهم وقوتهم في مراكز الدولة المختلفة[١٦٧].

لكن أسباب الخوف الأولى تمت إزالتها بمعاهدة عام ١٦٨٤م[١٦٨]، وزال الخوف الثاني بوفاة الملك تشارلز الثاني، وتولي جيمس الثاني[١٦٩] (James II) العرش، والذي كان كاثوليكياً مخلصاً، أما بالنسبة للخوف الثالث فقد أمل الملك بأن تكون الإجراءات التي قام بها لمنع الهجرة وتصدير الثروة قد تكون مفيدة، ونتيجة لذلك أعلن لويس الرابع عشر إلغاء مرسوم نانت في ٢٢ تشرين الأول ١٦٨٥م [١٧٠].

ثالثا: نص مرسوم فونتينبلو

في ١٧ تشرين الأول ١٦٨٥م مكث لويس الرابع عشر بشكل مؤقت في قصر فونتينبلو[١٧١] ليضع توقيعه على مرسوم يلغي به مرسوم نانت، وكانت مسودة هذا

---

(١٦٧) الباحث.

(١٦٨) لم يجد الباحث أصل لهذه المعاهدة.

(١٦٩) جيمس الثاني: (١٦٣٣-١٧٠١م) ملك إنكلترا وأسكتلندا وإيرلندا(١٦٨٥-١٦٨٨م) ابن تشارلز الأول، كان كاثوليكيا متحمساً، أطاحت به الثورة المجيدة عام ١٦٨٨م فعاش بقية عمره في فرنسا. البعلبكي، معجم أعلام المورد،ص١٦٦.

(١٧٠) Baird, The Huguenots The Revocation of the Edict of Nantes, vol2,P9.

(١٧١) قصر فونتينبلو:يقع على بعد ٦٠ كم تقريبا إلى الجنوب من باريس وكان مقرا لحكام فرنسا من فرانسوا الأول(Francis I) إلى نابليون الثالث(Napoléon III)، وكان هنري الرابع بعد فرانسوا الأول أكبر بان للقصر. فعمل في بنائه منذ عام ١٥٩٣-١٦٠٩م و أنفق فيه مليونين ونصف مليون ليرة، وعمل لويس الثالث عشر أيضاً في بناء القصر، وفيه إصدار لويس الرابع عشر مرسوم فونتينبلو، ولما نشبت الثورة الفرنسية ترك القصر ولما قبض نابليون الأول زمام الملك أنفق فيه أثنى عشر ميلون فرنك وأصلحه.وفي هذا القصر كتب هذا الأمبراطور صك تنازله عن الملك عام ١٨١٤م، وقال في مذكراته عن القصر " وهذا ولا شك منزل الملوك بل منزل العصور". محمد كرد علي: غرائب الغرب،(مصر: المكتبة الأهلية، المطبعة الرحمانية، ١٩٢٣)،ج٢،ص٢٨-٣٠.

المرسوم تم تحضيرها على مدى أربعة أيام، وقد أسندت مهمة وضع بنوده في شكله الأخير لوزير الخارجية الماركيز شاتونوف(Marquis of Châteauneuf)، وتم أيضا وضع لمسات أخرى أضافها آخرون، مثل: المستشار لوتلييه الذي كان صديقاً للمعتدلين ولكن في نهايات عمره أصبح يدافع عن الإجراءات التي اتخذها لويس الرابع عشر ضد الهيجونوت بحيث نسبت إليه مجمل بنود المرسوم [١٧٢].

وقبل (٢٤) ساعة من توقيع إلغاء المرسوم، صدر أمر ملكي يلزم الإقطاعيين الهيجونوت المقيمين في باريس بمغادرة المدينة خلال أربعة أيام [١٧٣]، وتم جمع الجيش الفرنسي على عجل وبتنبيه غير مسبق ليتمركز على الحدود الفرنسية، ومن ثم يتجه نحو جنوب فرنسا في مهمة عسكرية لحماية الدين في روما، وإبقاء الهيجونوت في منازلهم وحبسهم هناك حتى يتم الحصول على اعترافات بتحويل دينهم [١٧٤].

إن هذا المرسوم لم يعد نصاً عادياً فهو لا يغطي عشر عدد الصفحات التي كتب فيها نص مرسوم نانت شاملاً بنوده العامة، وبنوده السرية، بالإضافة إلى المذكرات الملكية التي أصدرها هنري الرابع، فقد تكون المرسوم من تمهيد (١٢) بندا، وختم بالشمع الأخضر، وربط برباط حريري أخضر وأحمر [١٧٥].

ففي تمهيد هذا المرسوم ذكر أن أصل مرسوم نانت يعود إلى الملك هنري العظيم، كما تحدث فيه الملك عن الدوافع التي ادت إلى إلغائه، ولعل من أبرزها [١٧٦]:

---

(١٧٢) Baird, The Huguenots The Revocation of the Edict of Nantes, Vol2,P25.

(١٧٣) Garrioch, The Huguenots of Paris,P30.

(١٧٤) P641. Stephen, K.C.B., LTD. Lectures of the History of France

(١٧٥) Baird, The Huguenots The Revocation of the Edict of Nantes, Vol2,P30.

(١٧٦) Ibid,P26-27

١ - أن الهيجونوت عملوا على تقوية نفوذهم داخل فرنسا ، وأصبحوا يشكلون دولة داخل دولة، مستغلين بعض بنود مرسوم نانت الذي وجد في الأصل، لتحقيق الأمن والسلام.

٢ - اعتناق العديد من الهيجونوت الكاثوليكية.وأهم ما اشتمل عليه مرسوم فونتينبلو [١٧٧]:

البند الأول: خصص لإلغاء أي تشريع يتعلق بالهيجونوت، كمرسوم نانت بكامل بنوده، شاملاً البنود السرية، والرسائل التي اصطحبته، وكل ما يمكن أن يكون قد منح حقا للهيجونوت، مع هدم كل معابدهم.

البند الثاني: حرم كلياً على أتباع الدين الإصلاحي الالتقاء في أي مكان وممارسة دينهم حتى في الأماكن الخاصة وتحت أي مسمى.

البند الثالث: حرم على النبلاء الهيجونوت وتحت أي ظرف إقامة أي شعائر دينية في بيوتهم أو إقطاعياتهم، والذين يؤدون هذه الشعائر سيعرضوا أنفسهم للحبس ومصادرة أملاكهم.

البنود من الرابع حتى السادس: اهتمت بموضوع كهنة الهيجونوت، فقد أمر الملك الذين لم يختاروا اعتناق الكاثوليكية مغادرة المملكة خلال (١٥) يوماً من إعلان المرسوم الحالي، كما حرم عليهم الانخراط في أي أعمال تبشيرية أو تقديم مواعظ أو أي مهمة أخرى، أما من يوافق على تغيير دينه فقد وعدهم الملك بإعفائهم من الضرائب، بالإضافة إلى منحهم امتيازاتهم، كما أنهم سيحصلون على منحة سنوية تزيد عن ثلث مما كانوا سيحصلون عليه وهم كهنة، ومنحهم راتب تقاعدي

---

(١٧٧) Robinson,Readings in European History, Vol,2 ,P287-291; Dixon, Protestants A History from Wittenberg to Pennsylvania 1517 – 1740,P133; Baird, The Huguenots The Revocation of the Edict of Nantes, Vol2,P27-30.

لزوجاتهم في حال وفاتهم، بالإضافة إلى إعفاء أي كاهن يمكن أن يصبح محامياً، أو يأخذ أي شهادة في القانون من ثلاث سنوات دراسية تفرضها عليه القوانين الملكية، وإعفائه من نصف الرسوم المخصصة لإجراء الإختبارات في الجامعات.

البند السابع: نص على إلغاء كل المدارس الخاصة المخصصة لتدريس الأطفال الهيجونوت، أو أي مكان يمكن أن تطبق فيه تعليمات دين الهيجونوت.

البند الثامن: نص على وجوب تعميد أي طفل يولد لعائلة بروتستانتية وفقاً للدين الكاثوليكي، أما الآباء المتمردين فستفرض عليهم غرامة تصل إلى (٥٠٠) جنيه.

البند التاسع: طلب من كل اللاجئين العودة خلال مدة أقصاها (٤) أشهر ليتمتعوا بأملاكهم التي أخذت منهم، وإلا فستتم مصادرتها وفق القانون.

البند العاشر: حرم على أتباع الدين الإصلاحي بالإضافة إلى أولادهم وزوجاتهم من مغادرة المملكة، ونقل بضائعهم أو ممتلكاتهم، ومن يفعل ذلك سيعرض نفسه للعقوبة الشديدة، بإرسال الرجال إلى القوارب الملكية، وحبس النساء ومصادرة أملاكهم.

البند الحادي عشر: أوضح أن نية الملك تتجه لتطبيق بنود القانون وتنفيذه على الأشخاص المرتدين.

البند الثاني عشر: سمح الملك لأتباع الدين الإصلاحي البقاء في قراهم وممارسة التجارة والتمتع بممتلكاتهم بدون أن تتم مضايقتهم على أساس الدين، بشرط أن لا يمارسوا شعائرهم الدينية وأن لا يتجمعوا باسم الدين، وإذا حدث العكس فستكون العقوبة الحبس ومصادرة ممتلكاتهم.

ووقع لويس على كل هذه البنود على أنها بنود حاسمة وصارمة، وذلك في شهر تشرين الأول من عام ١٦٨٥م، وبما أن البرلمان في باريس لم يكن منعقداً فقد تم تسجيل المرسوم في الثاني والعشرين من تشرين الأول من عام ١٦٨٥م(١٧٨).

ويلاحظ على هذا المرسوم وجود اضطراب وتناقض في بنوده، ففي جميع البنود يعلن الملك عن إلغاء الهيجونوتية في المملكة، ومعاقبة أتباعها ومصادرة أملاكهم، إلا أنه في البند الأخير من المرسوم سمح الملك لأتباع الدين الإصلاحي البقاء في قراهم وممارسة التجارة والتمتع بممتلكاتهم بدون أن تتم مضايقتهم على أساس الدين ؛ وذلك لأن بنود المرسوم تم كتابتها على عجل وفي ظرف أربعة أيام.وعلى الرغم من أن المرسوم قد أنهى التسامح الديني، ومبدأ ازدواج الأديان في فرنسا، إلا أنه لم ينه الهيجونوتية.

رابعاً: آثار إلغاء مرسوم نانت

لقد أثر إلغاء المرسوم على (٧٣٠) ألف فرنسي هيجونوتي، فبنود المرسوم اختلفت تبعاً للأشخاص الموجهة إليهم، فكانت هناك بنود تتعلق برعاة الأبرشيات، وبنود أخرى تتعلق بالأشخاص العاديين، فقد طلب من رعاة الأبرشيات مغادرة فرنسا، مالم يغيروا دينهم إلى الكاثوليكية، أما أبناؤهم الذين تزيد أعمارهم عن (٧) سنوات، فلم يسمح لهم مغادرة البلاد معهم، ووفقاً للإحصائيات فلقد كان عدد رعاة الأبرشيات الهيجونوت في فرنسا في عام

(١٧٨) Baird, The Huguenots The Revocation of the Edict of Nantes, vol2,P30.

١٦٨٥م قرابة(٨٧٠) راعيا، واختار (٢٠٪) منهم العيش في فرنسا، أما(٨٠٪) من الرعاة الآخرين فقد غادروا إلى ملاجئ في أوروبا [١٧٩].

اختلفت الإحصائيات حول عدد الأشخاص الذين هاجروا من فرنسا [١٨٠]، ولكن يمكن القول أن (٢٠٪) من الهيجونوت الذين قرروا الهجرة، قرابة (١٧٠) ألف مهاجر، كانوا يهاجرون عادة في الظلام، متخفين على أنهم متسولين، أو مزارعين، أو حجاج، أوحتى باعة متجولون، كل ذلك حتى يتمكنوا من الخروج [١٨١] إلى أماكن عيش مؤقتة في سويسرا، قبل أن يسكنوا بشكل دائم في إنجلترا،

---

(١٧٩) David E. Lambert ;The Protestant International and the Huguenot Migration to Virginia, Stuies in Church History, ,(New York: Peter Lang,2010) ,Vol12,P26-27; Garrioch, The Huguenots of Paris,P29-30; Riley, A Lust for Virtue Louis XIV's,P217 ; Christie Sample Wilson: Beyond Belif Surviving The Revocation of The Edicts on Nants in France,(United Kingdom: Lehigh University Prees,2011) , P68.

(١٨٠) قدرالكثير من الكتاب عدد الهيجونوت الذين هاجروا من فرنسا بعد إلغاء مرسوم نانت بغض النظر عن مدى صلاحياتهم وسلطاتهم بمعايير مختلفة مستندين بذلك على خلفياتهم الدينية أو السياسية أو مدى تعاطفهم معهم فمثلاً دوق باربيغون (Due de Bourgogne) استخلص بأن عدد المهاجرين لم يتجاوز) ٦٨) ألف أما فولتيير (Voltaire) فقد أحصاهم بأنهم في السنوات الثلاث الأولى وصل عددهم إلى) ٥٠) ألف عائلة أما الماريشال فوبان (Vauban) والذي قدم إلى لويس الأرقام بعد خمس سنوات أوضح بأن) ١٠٠) ألف رجل فرنسي سافر من المدينة وأن قرابة) ٩) آلاف من رجال البحر بالإضافة إلى) ١٢) ألف جندي و) ٦٠٠) ضابط. وآخر من كتب في هذا الموضوع وهو السيد كافيوج (Capefigue) والذي كان عدائياً ضد البروتستنت أورد أنه كنتيجة لأبحاثه في السجلات الريفية بأنه قد غادر المملكة قرابة) ٢٢٥) ألف.

Stephen, Lectures of the History of France,P649.

(١٨١) حيث قام جموع من الهيجونوت بكتابة أسمائهم وأملاكهم في قوائم وقدموها إلى من يعذبهم آملين في الحصول على فرصة أو وقت للهرب من بلادهم على الرغم من أن الهجرة كانت أيضاً خياراً صعباً حيث أن كل من سجل اسمه في محاولة للهرب من فرنسا كان يعاقب على أنه فار من فرنسا ويصنف على أنه مهاجر هيجونوتي وإذا ما بقي في بيته وتمسك بدينه فإنه سيعاقب بوحشية على أنه كاثوليكي منشق.

Stephen, Lectures of the History of France,P644 ; Baird, The Huguenots The Revocation of the Edict of Nantes, vol2, P71-74.

أوالجمهورية الهولندية، أو في المانيا، أو في السويد، أو في النرويج، وبعضهم اختار الذهاب إلى أمريكا العالم الجديد، وقد قال البعض إن هذه الهجرة كانت ثاني أكبر هجرة قسرية في التاريخ بعد تجارة العبيد(١٨٢).

وكان إلغاء مرسوم نانت علامة بارزة لعصر طويل من الاضطهاد، فقد ألغى الملك كل مراسيم الدين الإصلاحي، وأغلق جميع مدارسهم، وأعلن بأن أطفالهم يجب أن يتم تعميدهم من قبل القساوسة الكاثوليكيين (١٨٣).وتم تهديد التجار بمصادرة أملاكهم وإغلاق جميع أعمالهم، ومورست ضغوطات كبيرة أيضا على الفقراء، بالرغم من كل هذا بقي في نهاية عام ١٦٨٥م، حوالي (٤٠٠٠) هيجونوتي في باريس، ملتزمين بدينهم ولم يلتزموا بأوامر الملك، وأصدر وقتها الملك قراراً بإرسال الجيش إليهم ليتم إجبارهم على التحول إلى الكاثوليكية، ومع بداية شهر حزيران تقلص عدد الهيجونوت بناء على تقارير الشرطة فوصل إلى (٩٠٠) هيجونوتي في باريس (١٨٤).

ونتيجة لعمليات الاضطهاد الممنهجة ضد الهيجونوت، فقد تحول عدد كبير منهم إلى الكاثوليكية وقد تحمل هؤلاء المتحولون الجدد دفع الضرائب الإضافية، واستبعادهم من الوظائف الحكومية، علاوة على مراقبتهم بشدة من قبل السلطات للقضاء على أي بوادر للثورة قد تتشكل ضد الملكية منهم (١٨٥).

---

(١٨٢) Lambert ,The Protestant International and the Huguenot Migration to Virginia,vol,12,P27-28; Dixon, Protestants A History from Wittenberg to Pennsylvania 1517 – 1740,P133.

(١٨٣) Garrioch, The Huguenots of Paris,P29-30.

(١٨٤) Ibid,P32-33.

(١٨٥) Wilson, Beyond Belif Surviving The Revocation of The Edicts, P76.

وترك إلغاء مرسوم نانت أثره على الوضع الاقتصادي في فرنسا، على الرغم أن لويس الرابع عشر حظر على الهيجونوت مغادرة فرنسا، إلا أن بعض مئات الآلاف من الهيجونوت استطاعوا خلال السنوات العديدة أن يهربوا من فرنسا، وأن يهاجروا إلى إنجلترا، وروسيا، وهولندا، وكانت اعداد كبيرة بينهم كثير من التجار، والصناع المهرة، حملوا معهم إلى البلاد التي استوطنوها كثيراً من الطرق الصناعية المتقدمة، وكثيراً من وسائل نجاح التجارة، فكانوا بذلك مكسب للبلاد التي نزحوا إليها ، وخسارة لفرنسا، وذلك أن معظم الصناعة في فرنسا كانت في أيدي الهيجونوت، واستطاعت إنجلترا في ظل وجودهم من انتزاع المشروعات التجارية، والصناعية، من فرنسا لصالحها، واستحدثت صناعات عديدة في إنجلترا (١٨٦).

كما أن عدداً كبيراً من الهيجونوت ممن تركوا الخدمة العسكرية في الجيش والبحرية الفرنسية التحقوا بخدمة الدول التي نزحوا إليها (١٨٧).وأغنى الهيجونوت الحياة الثقافية لمضيفيهم، وقد يعود السبب الرئيسي في ذلك أن أول فوج من اللاجئين ممن اضطروا إلى مغادرة فرنسا كانوا من الأغنياء والمثقفين (١٨٨).

---

(١٨٦) Stephen, Lectures of the History of France,P649,

عبدالرحمن عبدالغني: مدخل في تاريخ الديمقراطية في أوروبا،(رام الله: مواطن،المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، ٢٠١٠)،ص٨٧.

(١٨٧) Lambert ,The Protestant International and the Huguenot Migration to Virginia,vol12,P33.

(١٨٨) Ahrendt ,A second Refuge French Opera and the Huguenot,P34.

وأثر إلغاء المرسوم على علاقات فرنسا الخارجية، فغضبت البابوية من لويس الرابع عشر، وأثارت الدول الأوروبية البروتستانتية ضده، فسارعت إلى تكوين حلف أوجزبرج(Augsburg) في عام ١٦٨٥م[١٨٩]، واشتركت فيها الإمبراطورية، وملكا السويد، وإسبانيا، وبعض الأمراء الألمان[١٩٠].

وكان لإلغاء مرسوم نانت أثره على بروتستانت إنجلترا الذين أصبحوا يخشون أن يتبع جميس الثاني (James II)(١٦٨٥ -١٦٨٨م) صديق لويس الرابع عشر نفس السياسية تجاه البروتستانت في إنجلترا، لذلك سارعوا إلى القيام بالثورة المجيدة في عام ١٦٨٨م، والتي انتهت بتنصيب وليم اورانج العدو الحقيقي للويس الرابع عشر ملكاً على إنجلترا، باسم: وليم الثالث (William III)، وبذلك أضيفت دولة قوية إلى قائمة أعداء لويس، بينما لجأ جميس الثاني إلى فرنسا [١٩١].

لقد اعتقد لويس الرابع عشر أنه بإلغاء مرسوم نانت قد أنهى مشكلة الحروب الدينية في فرنسا، لكنه في الواقع أسهم في خلق مشكلات جديدة فبعد(١٧) عام من إلغاء مرسوم نانت ظهرت ثورة هيجونوتية، وهي ثورة الكاميسار[١٩٢](Camisarde) التي انطلقت في جبال سيفينس (Cevennes)، في الجنوب الشرقي الفرنسي في الأعوام

---

(١٨٩) حلف أوحزبرج: تأسس عام ١٦٨٥م، من الأمبراطور وإسبانيا والسويد وأمراء المانيا الشمالية، وهولندا، احتجاج على سياسية لويس الرابع عشر ضد الهيجونوت، ولمقاومة سياسة فرنسا القائمة على التوسع على حساب الدول الأوروبية. فيشر، أصول التاريخ الأوروبي،ص٣١٨؛ عبدالرحيم، معالم التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر،ص١٢٧.

(١٩٠) Rule (Edited) , Louis XIV and the Craft of kingship,P243.

(١٩١) زينب، تاريخ أوروبا الحديث،ص ٢٢١.

(١٩٢) الكاميسار: نسبة إلى القميص الذي كان يرتديه الثوار الهيجونوت،إذ كانوا يتموهون بقمصان سوداء في غاراتهم الليلية، ثم يلتجئون إلى معاقلهم في الجبال.

http://www.marefa.org/index.php/

ما بين ١٧٠٢ – ١٧٠٥م، مما دفع بالملك إرسال أكثر رجاله المسلحين قوة، وهو الماريشال ڤيلار(Villars) إلى تلك المنطقة، وتمكن وقتها من قمع هذه الثورة، لكن هذه الثورة أشعلت الحماس للهيجونوتية والقيام بالعديد من الثورات ضد الملكية في فرنسا (١٩٣).

الخاتمة

خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج من أبرزها:

أولاً: شكلت رغبة هنري الرابع في تحقيق الأمن والسلام داخل فرنسا بعد الحروب الدينية التي كادت أن تعصف بالدولة الفرنسية من جهة، ورغبة في إيجاد تسوية دينية تضمن حقوق الهيجونوت كطائفة مستقلة، ووضع أفرادها تجاه الدولة والقانون، والأغلبية الكاثوليكية، كما أن الحروب الدينية أكدت أن الهيجونوت أقوياء، كما أنهم وقفوا إلى جانبه في حروبه مع العصبة الكاثوليكية، ولكن بتحوله إلى الكاثوليكية في عام ١٥٩٣م، أغضبهم، فكان لابد من أن يضمن ولاءهم من جديد. فكان إصداره مرسوم نانت في عام ١٥٩٨م، والذي منحهم العديد من الحقوق والحريات.

ثانياً: لم يضع مرسوم نانت في بنوده العامة والسرية، الهيجونوت على قدم المساواة مع الكاثوليكيين، فسمح للهيجونوت العبادة في أماكن محددة ومعروفة، بينما سمح للكاثوليك بحرية العبادة في كل الأماكن التي منعت فيها سابقاً. أما المكسب الأكثر أهمية الذي تحقق للهيجونوت فقد جاء في المذكرات الملكية التي منح الملك من خلالها الهيجونوت تنازلات لم يسبق لها مثيل فقد سمح بوجود

(١٩٣) J.H. Shennan, Louis XIV,(London: Lancaster Pamphlets,1986) ,P29.

قوة عسكرية لهم في (٢٠٠) قرية، وأن يؤمنوا بكافة الضمانات التي تحميهم وتحمي ممتلكاتهم.

ثالثاً: لاقى المرسوم معارضة شديدة من قبل رجال الدين الكاثوليك ؛ وذلك لأن أغلبيتهم لم تكن راضية عنه، لأنه منح الهيجونوت حقوقا مدنية، ودينية، وسياسية، كما عارضته الأغلبية في البرلمان البارسي ورفضت المصادقة عليه في البداية لأنه سمح للهيجونوت ممارسة مهن مختلفة، ووظائف حكومية رفيعة، واعتبروا هذا المرسوم تهديداً خطيراً للكنيسة والدولة على حد سواء.

رابعاً: تبوأ مرسوم نانت أهمية كبيرة في تاريخ فرنسا، باعتباره أول اعتراف عام بقيام أكثر من طائفة دينية داخل الدولة الواحدة، وتحولت الحروب الدينية المفتوحة بين الهيجونوت والكاثوليكيين بعد إصدار المرسوم إلى حرب باردة، فالآلاف من القضايا التي رفعت لغرف المرسوم خلال القرن السابع عشر تشهد على ذلك، أي أن الأطراف المتخالفة لجأت إلى القضاء وإلى المحاكم بدل استخدام العنف.

خامساً: عدل مرسوم نانت في عام ١٦٢٩م، بإصدار مرسوم اليس بهدف الحد من نفوذ الهيجونوت، وتأكيد سلطة الملكية المطلقة في فرنسا، والذي أكد على خسارة الهيجونوت لكل أماكن تحصنهم وقراهم وحقوقهم العسكرية التي كانت مضمونة لهم وقت العمل بمرسوم نانت في عام ١٥٩٨م. ومع ذلك فقد أسهم هذا المرسوم في زيادة أتباع الهيجونوتية في فرنسا، من خلال منحهم الحرية الدينية، وكذلك حرية إنشاء الكنائس، وكان ذلك سبباً في أن يواجهوا بحركة عدائية من قبل الكاثوليك توجت بإلغاء مرسوم نانت.

سادساً: يلاحظ وجود اضطراب وتناقض في بنود مرسوم فونتينبلو، ففي جميع البنود يعلن الملك عن إلغاء الهيجونوتية في المملكة، ومعاقبة أتباعها ومصادرة أملاكهم، إلا أنه في البند الأخير من المرسوم سمح الملك لأتباع الدين الإصلاحي البقاء في قراهم وممارسة التجارة والتمتع بممتلكاتهم بدون أن تتم مضايقتهم على أساس الدين؛ وذلك لأن بنود المرسوم تم كتابتها على عجل وفي ظرف أربعة أيام.

سابعاً: سعى لويس الرابع عشر إلى تحقيق وحدة فرنسا الدينية بإنهاء الهيجونوتية لذا ألغى مرسوم نانت، وكل مراسيم الدين الإصلاحي، ومارس العديد من الضغوط على أتباع الهيجونوتية، إلا أنه لم ينجح في ذلك. فبعد (١٧) عام من إلغاء المرسوم ظهرت ثورة هيجونوتية، وهي ثورة الكاميسار التي أشعلت الحماس للهيجونوتية والقيام بالعديد من الثورات ضد الملكية في فرنسا.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: العربية

[١] بالمر، روبرت: تاريخ العالم الحديث اوروبا من القرون الأولى حتى سنة ١٧٤٠، ترجمة: محمود الأمين، الموصل: مكتبة الوفاء، ١٩٦٤.

[٢] برون، جفري: تاريخ أوروبا الحديث، ترجمة: علي المرزوقي، عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦.

[٣] البطريق، عبدالحميد وعبدالعزيز نوار: التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فينا، بيروت: دار النهضة، ١٩٧١.

[٤] البعلبكي، منير: معجم أعلام المورد، موسوعة تراجم لأشهر ألعلام العرب والأجانب القدامى والمحدثين مستقاة من " موسوعة المورد"، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٢.

[٥] حاطوم، نور الدين: تاريخ عصر النهضة الأوروبية، لبنان: دار الفكر الحديث، ١٩٦٨.

[٦] ديورانت، ول وايريل: قصة الحضارة، عصر لويس الرابع عشر تاريخ الحضارة الأوروبية في عصر بسكال وموليير وكرومول وملتن وبطرس الأكبر ونيوتن وسبينوزا(١٦٤٨ -١٧١٥م)، ج١، م٨، ترجمة: فؤاد أندراوس ومراجعة: علي أدهم، بيروت: دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، د.ت.

[٧] راشد، زينب عصمت: تاريخ أوروبا الحديث من مطلع القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر، القاهرة: دار الفكر العربي، د.ت.

[٨] الشيخ، رأفت: ثورة بلا قائد، القاهرة: كتاب الجمهورية، ٢٠١١.

[٩] شكري، محمد: محاضرات في تاريخ أوربا في العصور الحديثة، الجزء الأول"من النهضة الأيطالية حتى الثورة الفرنسية، القاهرة: د.نا، ١٩٦٣.

[١٠] الصباغ، ليلى: معالم تاريخ أوروبا في العصر الحديث، دمشق: مطبعة جامعة دمشق، ١٩٨٩.

[١١] عبدالرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: معالم التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر، الدوحة: دار المتنبي للنشر والتوزيع: ١٩٨٢.

[١٢] عبدالغني، عبدالرحمن: مدخل في تاريخ الديمقراطية في أوروبا،رام الله: مواطن،المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، ٢٠١٠.

[١٣] عبيد، جميل: هنري الرابع ملك فرنسا ١٥٨٩ -١٦١٠م أو قصة الصراع بين الطائفية وسيادة الروح القومية، مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة، س١١، ع١٣، ١٩٧٨.

[١٤] علي، محمد كرد: غرائب الغرب، ج٢،مصر: المكتبة الأهلية، المطبعة الرحمانية، ١٩٢٣.

[١٥] عمر،عبدالعزيز عمر: دراسات في التاريخ الأوروبي والأمريكي الحديث، الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٢.

[١٦] عمران، محمود سعيد: النقود في أوروبا في العصور الوسطى،الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، ٢٠١١.

[١٧] فيشر، هربرت: أصول التاريخ الأوروبي الحديث من النهضة الأوروبية إلى الثورة الفرنسية، ترجمة، زينب عصمت راشد وآخرون، مصر: دار المعارف، ١٩٦٥.

[١٨] كرريكر، جول: الدرر الأوروباوية في تاريخ الأمة الفرانساوية،الرباط: فليكس مونكو، ١٩٢٦.

[١٩] لانجر، وليام: موسوعة تاريخ العالم، ترجمة: محمد مصطفى زياده، ج٤، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٣،

[٢٠] مازاران، جول: دليل السياسي الناجح، وصايا السياسي الفرنسي الداهية الكاردينال جول مازاران للدخول في عالم السياسة والشهرة، نقله إلى العربية وقدم له وعلق عليه: خميس حسن، القاهرة: دار الطلائع للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦.

[٢١] المقرحي، ميلاد أ.: تاريخ أوروبا الحديث(١٤٥٣ -١٨٤٨)، بنغازي: منشورات جامعة قز يونس، ١٩٩٦.

[٢٢] ملطى، تادرس يعقوب: قاموس المصطلحات الكنسية، نقله إلى القبطية: شاكر ميخائيل، القاهرة: مطبعة الأخوة المصريين، ١٩٩١

[٢٣] الموسوعة العربية العالمية، م١٩، ٢١، السعودية: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩.

[٢٤] الموسوعة العربية الميسرة، ١، ٧، ١٧، بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠٩.

[٢٥] نعنعي، عبد المجيد: أوروبا في بعض الأزمنة الحديثة المعاصرة(١٤٥٣ - ١٨٤٨)، بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٧٨.

[٢٦] ويلز: ج.: الهرطقة في المسيحية، تاريخ البدع الدينية المسيحية، ترجمة: جمال سالم، بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٧.

[٢٧] نعمة، يونس عاس: حركة الإصلاح الديني في فرنسا(١٥١٥ -١٥٦٠)، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، م٤، ع١، ٢٠١٤.

ثانياً:الأجنبية

[1] Ahrendt, Rebekah Susannah: A Second Refuge French Opera and the Huguenot Migration c. 1680 – c. 1710,A dissertation Submitted in Partial Satisfaction of the Requirements for the Degree of Doctor of Philosophy in Music in the Graduate Division of the University of California, Berkeley,2011.

[2] Baird, Henry M: The Huguenots and The Revocation of the Edict of Nantes, vol2,New York; Charles Scribners Sons,1895.

[3] Beik, William:Louis XIV and Absolutism A Brief Study With Documents, New York: Bedford/ST. Martin's,2000.

[4] Dixon, C. Scott: Protestants A History from Wittenberg to Pensylvania 1517 – 1740, United Kingdom: Wiley-Blackwell ,2010.

[5] Eder , James M: Barron's How To Prepaer For The AP European History Advancd Placement Examination, New York: Barron's Educational Series,Inc,2003.

[6] Exposition " La Paix d´Alais OU Edit de Gráoe de1629" Aux Archives Municipales D´Ales 4'Boulevard Gambetta 1er Mars-02 Avril2010,

[7] Garrioch, David: The Huguenots of Paris and the Coming of Religious Freedom, 1685-1789, U.S.A: Cambridge University Press,2014.
[8] Henri IV, roi de France: Édit de Nantes En Faveur de Ceux de La Religion Prétendue Réformée avril1598, Une Édition Numérique Réalisée par Nicole Dufournaud:Université de Nantes,2003.
[9] Holt, Mack P.: The French Wars of Religion, 1562-1629 , New York:Cambridge University Press,2005.
[10] Knecht, P. J: The French Wars of Religion (1559-1598), London: Longman is an Imprint of Pearson,2010
[11] Knecht, R. J: The French Wars of Religion 1559-1598, London: Longman is an Imprint of Pearson,2010, ,
[12] Lambert, David E: The Protestant International and the Huguenot Migration to Virginia, Stuies in Church History, vol12 , New York: Peter Lang,2010.
[13] Lee, Stephen J.: Aspects of European History (1494-1789), London& New York: Routledge Taylor & Francis e-Library, 1984.
[14] Luria, Keith P.: Sacred Boundaries Religious Coexistence and Conflict in Early – Modern France, Washington D.C: The Catholic University of America Press,2005.
[15] Mousnier, Roland: The Assassination of Henry IV, The Tyrannicide Problem and the Consolidation of the French Absolute Monarchy in the Early Seventeenth Century. Translated by: Joan Spencer, New York: Charles Scribners Sons,1973.
[16] Nigsberger, H.G.K- and George L. Mosse: Europe in the Sixteenth Century, London: longman,1968.
[17] Nolan ,Cathal J.:The Age of Wars of Religion, (1000 – 1650) An Encyclopedia of Global Warfare and Civilization, Vol.1, London: Greenwood Press,2006.
[18] Riley, Philip F.: A Lust for Virtue Louis XIV's Attack on Sin in Seventeenth – Century France, Westport: Greenwood Press,2001.
[19] Robinson, James Harvey: Readings in European History, A collection of extracts from the Sources chosen with The Purpose of Illustrating The Progress of Culture in Western Europe Since the GermanInvasions, vol 2 , Delih:facsimile-Publisher2016
[20] Rule, John C. (Edited): Louis XIV and the Craft of kingship, Columbus, OH:Ohio State University Press,1969.
[21] Shennan, J.H: Louis XIV, London: Lancaster Pamphlets,1986.
[22] Stephen, K.C.B., LTDو Sir James: Lectures of the History of France, New York: Harper & Brothers, Publishers.Frankin Square,1855.
[23] Tapie, Victor-L: France in The Age of Louis XIII and Richelieu, Translated and Edited by: D. Mcn. Lockie, With a New Foreword and Bibliography by: R. J. Knecht, New York: Cambridge University Press,1984.

[24] The New Cambridge Modern History: The Counter-Reformation and Price Revolution(1559-1610) Edited By: R. B.Wernham, Vol 3 ,Cambridge: Cambridge University Press, 2008.
[25] The Revocation of the Edict of Nantes and its Consequences of the Protestant Churches of France and Italy Containing Memories Of some of the Sufferers in the Persecution Attending the Event, Philadelphia: Presbyterian Board of Publication, William S. Martien Publishing Agent,1839.
[26] Treasure, Geoffrey: Richelieu and Mazarin, London & New York: Routledge,1998.
[27] Weiss, Charles: History of the French Protestant Refugees from the Revocation of the Edict of Nantes to our own days, Translated from the French By: Henry William Herbert. With an American Appendix By A Descendant of the Huguenots, Vol1, New york:Stringer and Townsend 222 Broadway, 1854.
[28] Wilson, Christie Sample: Beyond Belif Surviving The Revocation of The Edicts on Nants in France, United Kingdom: Lehigh University Prees,2011.

Edict of Nantes of France between the Religious Motives and Political Imperatives 1598-1685AD: Historical Study

Dr. Ahmad Hamed Ibraheem Alqudah
Associate Professor of Modern and Contemporary History, Department of History at the College of Arabic Language and Social Studies,
Qassim University.K.S.A

Abstract. This study investigates and analyzes Edict of Nantes issued in France 1598-1685 in terms of rationales behind publication, major public and secret clauses, royal memos, positions of the Catholics, Huguenots, and the Parliament of Paris, and importance of this Edict. The study also investigated reinstitution of the Edict in 1629AD by Edict of Alès, stressing on driving motives, and essential clauses. The study also addressed revocation of Edict of Nantes and replacement by Edict of Fontainebleau published in 1685 AD, emphasizing on causes of revocation, and steps undertaken by Louis XIV before revocation, essential clauses in Edict of Fontainebleau 1685 AD, and social, political and economic influences of revocation for France.

Keywords: France, Henry IV, Edict of Nantes, Louis XIII, Edict of Alès, Louis XIV, Edict of Fontainebleau